فلسفة الغموض وأصل الحقيقة

"دراسة في أنطولوجيا وفينومينولوجيا موريس ميرلوبونتي"

اعداد

دعاء محمد عبد النظير حماد

مدرس الفلسفة الحديثة والمعاصرة – كلية الاداب - جامعة الاسكندرية

مقدمة:

يتناول هذا البحث مشكلة أساسية عند ميرلوبونتي(*) ألا وهي "فلسفة الغموض "(**) The Pilosophy of Ambiguity تللك المشكلة المتعلقة بالبحث عن أصل الحقيقية ،حقيقة إدراك العالم الذي نعيش فيه. ويمكن القول إن موريس ميرلوبونتي ليس فيلسوفاً سهل الفهم، وليس غموضه غموضاً متعمداً ، ولكن تأتي الصعوبة من دقة وتعقيد فكره ، من أجل تقديم بعض الموضوعات الرئيسة المتعلقة بإدراك العالم أو ما يسمى فينومينولوجيا الإدراك الحسي The Phenomenology of Perception، أملاً في أن يضيف عنصراً جديداً للفهم، مما يجعلنا نسعى لمحاولة مناقشة جوهر فكره ،لاستكشاف المزيد.وبالتالي فنحن بحاجة إلى دراسة الطرق المختلفة التي تظهر بها نفس الأشياء إلى أنماط مختلفة من الوعي(***) Consciousnessمثل: التفكير ،والإدراك، والخوف ، والحب ، والخيال ... إلخ.فالوعي قائم على قبول القصدية Intentionality .ومن ثم فإن الظواهر ذات صلة بالدراسات النفسية لدراسة التصور وشرح كيفية حدوث الأشياء، عن طريق تحليل الظواهر. وهذا ما يجعل من الظواهر نشاطاً متميزاً عن أي من العلوم التجريبية.إن مهمة الظواهر هي العودة لأساس التجربة الإنسانية التي هي مصدر العلم وجميع الأنشطة النظرية الأخرى.فمثلاً عندما نريد فهم السلوك البشري ،فلابد لنا من النظر في القوانين الفيزيائية والكيميائية ، ودراسة تاريخ المجتمع،وخبرتنا في الشعر والفن والعلاقات الشخصية و.يجب أن نتعامل على أنها فرع من فروع الفيزياء ،ووضع ذلك في الاعتبار.ربما يؤدي هذا إلى الارتباك والغموض والحيرة في فلسفة ميرلوبونتي ، ولكنه بتوضيح بسيط يعني أن التجربة الإنسانية شمولية، وهذه الشمولية تضم الوعي بالعالم والمشاركة فيه.

فالوعي الذاتي يرتبط بوعينا بالآخرين ،وبتجربتهم ،وسلوكهم ،وحديثهم،والمشاركة بيننا وبينهم.فاعتمادنا على الآخرين يحدد كيف نعمل نحن ،فلا مفر من هذا الاعتماد على الآخرين في تخيل حريتنا وتشكيل مستقبلنا.هذا هو الشكل الحديث للإنسانية ، وهذا هو "الغموض " الذي يحدثنا عنه ميرلوبونتي .حيث يتعين علينا تحمل مسؤولية أفعالنا،مع الوضع في الاعتبار أن كل شئ نحاول القيام به يعتمد على المعنى الذي يعطيه لنا الآخرون.هذه هي وجودية ميرلوبونتي.فالعالم المتصور هو أرض مجهولة يحتاج لمزيد من الوقت والجهد والثقافة من أجل إعادة اكتشاف العالم من خلال الفن والفلسفة.فجميع تجاربنا الواقعية تعتمد على العلم والمعرفة والعالم الواقعي.والعالم الحقيقي ليس هو الضوء واللون والموجات والجسيمات التي يخبرنا العلم أنها تكمن وراء الأوهام الحسية.فالحواس تخدعنا.بل يمكننا تصور العالم على أنه أكثر شمولاً فهو " ملموس ومعقول" وهذا ما يوضح "غموض العالم" ذلك الغموض الجيد ، أو هو بالأحرى كشف الغموض واستكشاف الحقيقة.فبالعلم والتجربة معاً نصل لإدراك العالم.

إن ميرلوبونتي هو أعظم من وصف الظواهر.وهناك مقالات جديدة تدرس النطاق الكامل لفلسفة ميرلوبونتي : التصور ، التصور الجسدي، القصد في تأملاته في العلم والطبيعة والفن والتاريخ والسياسة.حيث يستكشف المؤلفون أصول التاريخ في سياق فكره،وكذلك استمرار الصلة في العمل المعاصر المتعلق بالظواهر والفلسفة والعقل،والعلوم المعرفية والبيولوجيا والنقد الفني والنظرية الاجتماعية والسياسية.و ما يظهر هنا هو صورة جديدة وعميقة لميرلوبونتي تبين أهمية وأصالة فكره. فقد كان تأثير فلسفته عميقاً بعد موته ،خاصة على

الفلسفة وعلم النفس والنقد.حيث تجددت الجهود لإحياء فلسفته واكتساب معرفة العالم من خلال نظرتيه في إدراك العالم وتوضيح حجم رؤياه وتسليط الضوء على تراث أفكاره الدائم في مختلف المجالات .فما يميز ميرلوبونتي هو اختراق هذه المجالات بنظرة ثاقبة.

لقد كان ميرلوبونتي واحداً من أكثر الفلاسفة إبداعاً في القرن العشرين.لقد جمع طريقة جديدة للتفكير حول الهياكل الأساسية للحياة الإنسانية ،مع تأملات في الفن ،الأدب ،والسياسة التي تعتمد على هذه الفلسفة الجديدة.كما أن ظاهرية الإدراك شكل من أشكال علم النفس،ولكنه يرى أن البدائل النفسية والفلسفية ليست حصرية لأن الإنسان هو المتعالي، بمعنى أن الإنسان هو الذي يعطي معنى الأشياء ،أي معنى الفهم النفسي والفهم الفلسفي في الوقت نفسه.لأن الإدراك ليس حقيقة داخل العالم ،ولكنه القدرة التي يوجد بها العالم.مما يبرز دور الحواس في إدراك العالم و تنظيم التجربة.ولكن العالم غريب ومتناقض وفيه ما هو لامرئي.

<u>إشكالية البحث:</u>

لاتكمن إشكالية البحث في السؤال عن (كيف نعرف) فحسب،ولكن السؤال الأهم والمحوري في هذا البحث هو (ماذا نعرف في الإدراك الحسي).أي أن نعرف المبدأ الكامن الذي يحرك إدراكنا الحسي تجاه العالم ، وما هي علاقتنا بالعالم.وكيف يكون العالم تجربة أنطولوجية تضم العالم في وحدة وجودية مزدوجة تشمل الموضوعات والأشياء معاً.وما علاقة ذلك بفينومينولوجيا ميرلوبونتي الذي يرى إدراك العالم من منظور جديد غير تقليدي.

<u>منهج البحث</u>: المنهج التحليلي النقدي.

<u>تساؤلات البحث:</u>

س١ ما دور التجربة العينية الملموسة في الإدراك الحسي للعالم؟وما المقصود بأنطولوجيا ميرلوبونتي؟وكيف تقوم على الخبرة البشرية؟

س٢ ما معنى الغموض؟وأين يكمن في إدراك العالم الحسي عند ميرلوبونتي؟وكيف يتصل بأصل الحقيقة؟

س٣هل الغموض في فلسفة ميرلوبونتي يشمل الفن أيضاً في شمولية التجربة الإنسانية؟

س٤ ما دور الجسم في إدراك العالم ،وهل يشمل العلم والفن معاً؟

س٥ في ظل فلسفة الغموض ،من أجل استكشاف الحقيقة، ماذا يعني المرئي واللامرئي هنا؟

س٦ كيف يقوم الإدراك الحسي عند ميرلوبونتي على وحدة وجودية مزدوجة متجسدة؟

س٧ كيف تتضح أصالة ميرلوبونتي في استكشاف أصل الحقيقة؟

س٨ ما العلاقة الغامضة بين العقل والحقيقة؟

محاور البحث:

يشتمل البحث على ثلاثة محاور جاءت على النحو التالي:

المحور الأول: فلسفة الغموض بين العلم والفن:

(١) ملامح أساسية في فلسفة ميرلوبونتي.
(٢) دور العلم والفن في إدراك العالم من خلال "فلسفة الغموض"
(٣) مفهوم الوعي والمشاركة عند ميرلوبونتي.

المحور الثاني: بين ميرلوبونتي وبرجسون:

(١) تأثر ميرلوبونتي ببرجسون.
(٢) فينومينولوجيا الإدراك الحسي .. مبادئ لفلسفة وجودية.
(٣) طبيعة المعية القائمة بين الذات والعالم من خلال فلسفة الغموض وأصل الحقيقة.

المحور الثالث: شمولية التجربة الإنسانية:

(١) الحرية عند ميرلوبونتي.
(٢) المرئي واللامرئي عند ميرلوبونتي
(٣) تعقيب عام على فلسفة ميرلوبونتي.

المحور الأول:

فلسفة الغموض بين العلم والفن

يشتمل هذا المحور على الأفكار التالي:

(١) ملامح أساسية في فلسفة ميرلوبونتي.
(٢) دور العلم والفن في إدراك العالم من خلال "فلسفة الغموض"
(٣) مفهوم الوعي والمشاركة عند ميرلوبونتي.

ولنبدأ بعرض الأفكار على النحو التالي:

(١) ملامح أساسية في فلسفة ميرلوبونتي:

إن عالم الظواهر ينفتح مرة أخرى على العالم ، حيث يجد نفسه في فجر يوم جديد للعالم،حيث تبدأ الظواهر وكل الأشياء في الظهور في ضوء جديد،خاصة فيما يتعلق باختزال الظواهر ودور الوعي.فالفلسفة الحقيقية هي مسألة تعلم رؤية العالم من جديد. ليس فقط أن تكون وحدة الوعي هي أساس العالم ، فالعالم هو الغموض.والهدف من هذا التأكيد هو التأثير المكاني والزماني للظواهر في العالم. فنحن نتعامل مع مشكلة "الظواهر"و"التصور" من حيث حل ميرلوبونتي لبعض القضايا المنهجية التي تتعلق بالاختزال.فالتصور مازال مفتوحاً.ولكن ما يعنينا هنا هو الوجود الإنساني.إنه نوع من الوجود العالمي المستمر الذي يشكل أساساً من التجربة الإنسانية.فالإنسان كل واحد لا ينفصم.وهناك الوعي الذاتي للحياة النفسية.إن علم الظواهر يدل على الوجود الإنساني على وجه التحديد داخل الموضوع المتعالي(١).

وهذا يعني أننا يمكن أن نفهم إدراكنا للعالم كشئ ، من حيث المبدأ، يمكن فصله عما هو عليه، وعما فهمناه. فهناك نوع من الاتصال والمعرفة المزدوجة.كما أن المكان يشكل نظرتنا في إدراك العالم. والوعي يجمع بين الداخل والخارج.ومن ثم فإن فهم الأشياء يكمن في الطريقة التي نحن بها على اتصال بالعالم عن طريق تجاربنا الجسدية .والأشياء تتوسط وجودنا الجسدي في العالم.وإنسانيتنا على قدر المشاركة الأصيلة في تعلم رؤية الأشياء في الواقع.وهذا يعني أن الإدراك والتفكير والشعور والوعي أمور ترتبط بالحقيقة(٢).

إن أصالة ميرلوبونتي الذاتية تجعل منه شخصية فريدة في تاريخ الفكر الفرنسي المعاصر.إن فلسفة ميرلوبونتي تدور حول الإدراك الحسي ،فتجعل من "موقف الإنسان من العالم" الموضوع الأول لكل دراسة.فلسفته ذات طابع عقلي ،فضلاً عن أن مؤلفاته حافلة بالمعلومات العلمية والتحليلات الدقيقة التي تدل على إلمام واسع بنظرية الجشطالت والنظرية السلوكية وغيرها من نظريات علم النفس الحديث.فقد كرس جهوده لحل مشكلات الفلسفة وعلم النفس بطريقة منهجية أكاديمية.ولعل هذا هو السبب في اختياره لشغل منصب أستاذ الفلسفة بالكوليج دي فرانس عام ١٩٥٢،وهو منصب كبير لم يشغله سوى أقطاب الفكر الفرنسي مثل برجسون. ولئن لم يمهله القدر طويلاً ،إذ طوى الموت صفحته وهو لم يتجاوز الثالثة

والخمسين من عمره،إلا أن لميرلوبونتي أعمالاً فلسفية هامة ما تزال موضع دراسة من جانب المهتمين بالدراسات الفلسفية في فرنسا وخارجها(٣).

يشعر ميرلوبونتي بأن الحقائق متنافرة،وإن كانت في الوقت نفسه متماسكة،فهو يبحث دائماً عن "العقدة" التي تتجمع عندها خيوط "الحقيقة" ويحاول أن يمسك بها جميعاً على نحو ما تتمثل في صميم العالم ،آخذاً على عاتقه أن يقول كل شئ ،متوخياً في حديثه الوضوح والصراحة ،من أجل أن يعلن على الناس الحلول اليقينية،فقد أخذ على عاتقة أن يواجهنا بالحقيقة،حتى ولو كانت نسبية أو متعارضة أو ملتبسة.وقد كان مصير سقراط Socrates الموت ،لا لأنه أفسد الشباب ،أو دعا إلى عبادة آلهة جديدة ،أو ادعى لنفسه معرفة أعظم مما كان يتمتع بها أهل عصره،بل لأنه حاول أن يقيم علاقته بالحقيقة على نحو جديد. وتبعاً لذلك فقد عجز قضاة سقراط عن فهم موقفه ،لأنه لم يستطيعوا أن يتلاقوا معه فوق أرض واحدة مشتركة.أليست أرض العامة من الناس هي أرض السذاجة والاعتقاد الراسخ،في حين أن أرض المعاني هي التفسير العقلي،والتجربة الميتافيزيقية؟فكيف لا تثور المدينة على الفيلسوف(٤).

(٢) دور العلم والفن في إدراك العالم من خلال "فلسفة الغموض":

يدعو ميرلوبونتي العلم إلى أن يرجع إلى منظر العالم المحسوس.أي إلى الواقع.وهو لا يكون واقعاً إلا على نحو ما يمثل في حياتنا،أي على نحو ما نعيشه ونحياه وعلى نحو ما يكون لجسمنا.فعلاقتنا بالعالم وإدراكنا الحسي له يكون من خلال جسمنا.بهذا يكون الفن علماً للعالم.الفن الذي يجعل المصور يرى العالم ويدركه.يتساءل عن أساس الفن أي عن الأساس الذي يجعلنا ندرك هذا العالم .فليس التصوير عملاً تقوم به الروح ، ولكنه يتم بموجب عمل اليد والعقل.وبفضل الجسم يتاح للمصور أن يدرك العالم.وإذا كان الإنسان يعرف جسمه لا من حيث هو ممتد وإنما من حيث هو حركة، أو من حيث هو امتداد يتحرك،فإن إدراك العالم عن طريق رؤية المصور تقتضي الإقرار بأن هناك ارتباطاً وثيقاً بين الرؤية والحركة.ومن ثم أراد ميرلوبونتي أن يبين لنا أن من طبيعة الجسم أن يكون مدركاً ومدرَكاً في الوقت ذاته،فهو ذات بواسطة الاختلاط وملازمة الرائي لما يراه ويلمسه .هذا التكامل بين الحاس والمحسوس يقوم على أساس أن الإدراك يتم بواسطة جسمي وفي جسمي،وإن جسمي هو الذي يدرك الأشياء.وآية ذلك هو التضافر المستمر بين الرؤية والحركة. فكل ما أعرفه عن العالم ، حتى بواسطة العلم ، أعرفه من خلال نظرة خاصة بي أو من خلال تجربة مع العالم بدونها لا تعني رموز العلم شيئاً.فكل عالم العلم يُبنى على ما هو معيش(٥).

وفي هذه التجربة نحن نعني المفاهيم المستخدمة في العلم ، بما في ذلك المفاهيم الموضوعية ، كما أن نفس تلك التجربة تحتوي على التجريد في تجربتنا العينية الملموسة لأنفسنا ولغيرنا من البشر.فالعلم هو التجريبية ،استناداً إلى الخبرة البشرية.وهذه الخبرة البشرية لدى الأشخاص الذين يتعاملون مع العالم في سياق العيش فيه،بدلاً من التنظير حوله.فيجب علينا أن نعود لتلك التجربة العينية الملموسة والمعيشة، وإلى الأشياء نفسها، إذا نحن أدركنا حتى دور العلم الذي يلعبه في حياتنا. فالظواهر من هذه الوجهة من النظر ، تتمثل في العودة إلى الأساس، لتوجيه الخبرة البشرية ،وذلك بأن نضع الأفكار المسبقة المستمدة من نظرياتنا العلمية أو من الفلسفات التي تقوم على هذه النظريات العلمية وتحاول إعطاءها حالة

ميتافيزيقية جانباً.وهذا ما نقصده بفكرة "اختزال الظواهر".بشرط الاشتباك الكامل لكل الظواهر.فالعالم ليس نوعاً من الذاتية المطلقة .فأنا موضوع مختلف ،ولدي خبرات مختلفة في العالم عني وعن الآخرين.ولكن حتى الاعتراف بأن هذا يعني أنني لا أستطيع أن أكون على علم بنفسي كموضوع دون أن أكون على علم أيضاً بالموضوعات الأخرى.فـ "أنا " لها معنى فقط إذا كان من الممكن مقارنتها بـ " أنت " وضمائر شخصية أخرى، من حيث وجود الآخر.بل وقبول الآخر.بما في ذلك الموضوعات والأشياء. أي أن تقبل أن هنـــاك عالمـاً ،وأن كل هذه الموضوعات المختلفة تجربة ، كل من وجهة نظره،وهذا ما يوفر "الأفق المشترك" لجميع تجاربنا(٦).

فالمصور يحضر جسمه .والواقع أنه من المستحيل على المرء أن يتصور كيف يمكن للروح أن تصور. فالمصور إذ يعير جسمه للعالم يحيل العالم إلى تصوير .ولفهم هذه التحولات ينبغي إعادة الاهتداء إلى الجسم والفاعل والواقعي،ذلك الذي ليس قطعة من المكان أو حزمة من الوظائف،وإنما هو تشابك من الرؤية والحركة.إن جسمي ينتمي إلى العالم المرئي،ويكون جزءاً منه،ولهذا أستطيع أن أوجهه في المرئي.فالرؤية تتعلق بالحركة،فالعالم المرئي وعالم مشروعاتي المتحركة هي أجزاء شاملة من نفس الوجود.إن الرائي يغوص في المرئي بواسطة جسمه الذي هو نفسه مرئي . إذن هناك المرئي والمتحرك،وهو يتشابك في نسيج العالم،وتماسكه هو تماسك شئ ما. ولكن بما أنه يرى ويتحرك ،فهو يمسك بالأشياء في دائرة حوله، وهي ملحقة به أو امتداد له.إنها مغروسة في لحمه،وتكون جزءاً من تعريفه الكامل،والعالم مصنوع من نفس نسيج الجسم.هذه الأوضاع أساليب مختلفة لقولنا إن الرؤية تتحقق من وسط الأشياء،تتحقق هناك حيث يبدأ مرئي في أن يرى،ويصبح مرئياً لنفسه وبواسطة رؤية كل الأشياء تتحقق هناك حيث لا انقسام بين الحس والمحسوس مثلما يختفي كل انقسام بين ماء التبلور والبللور(٧).

فالكتابة تتحقق داخل الشاعر والرؤية تتم داخل المصور. فليس الشاعر هو الذي يكشف عن أسرار الكتابة بقدر ما تكشف الكتابة عن أسراره.ولا يعرف ما إذا كان يكتب القصيدة أم القصيدة هي التي تكتبه.فالطبيعة في الداخل. والكيف والضوء واللون والعمق،التي هي هناك أمامنا،ليست كذلك إلا لأنها توقظ صدى في جسمنا ولأنه يستقبلها.إن أعيننا الجسدية هي أكثر بكثير من مجرد مستقبلات للضياء والألوان والخطوط. ومن ثم فإن سر الرؤية وسر كل إحساس يعود إلى الجسم الإنساني. فالأشياء وجسمي من نفس النسيج ، ينبغي أن تتم رؤيته على نحو ما في الأشياء،وأن تزدوج فيه قابليتها للرؤية بقابلية خفية للرؤية.ولتوضيح هذا السر"سر الغموض" وفهم الوصف الذي يقدمه ميرلوبونتي للإدراك الحسي،وهو الإدراك الذي يتمثل في أقوى مظاهره لدى المصور،يجب أن نتبين ما يرمي إليه ميرلوبونتي من إثبات أن هذا الإدراك الحسي يقوم على اعتبار وحدة وجودية مزدوجة.فمن ناحية هناك وحدة وجودية تشمل الأنا المتجسد والعالم،ومن شأنها أن تتيح لنا أن نرى العالم،عالم الأجسام ،امتداداً لجسمنا مصنوعاً من نسيجه وملحقاً به.وهنا تأتي أصالة ميرلوبونتي وثورته على التقليد الفلسفي لتثبت وحدتنا الوجودية والجسم ووحدتنا الوجودية والعالم.هذا الإثبات هو أساس الوصف الفينومينولوجي الذي يقدمه ميرلوبونتي للإدراك الحسي للعالم الذي ندركه والذي نعيش فيه وبه(٨).

وعلى ذلك لا يمكنني أن أنسحب كلياً إلى ذاتي وقطع كل العلاقات مع العالم الذي أدركه. أنا لست كالموضوع خارج الزمان والمكان ، أنا بالضرورة " جسد" أو " جسم" أو"لحم" ، في موقف تاريخي معين.هذه الفكرة عن البشرية تتجسد بالضرورة، وهو أمر ذو أهمية حاسمة في فلسفة ميرلوبونتي، كما سنرى لاحقاً. فتجاربي هي تجارب العالم ، والعالم هو ما يعطي معنى الخبرات لدي.لذلك لا يمكنني الانسحاب من العالم.ولكن يمكن تخفيف العلاقات التي تربط بيننا وبين الأشياء في منطقتنا العملية في التعامل معهم، بحيث تصبح الغرابة المطلقة في العالم أكثر وضوحاً،وذلك من خلال التخلي عن الهياكل التي بنيناها. فالفلسفة الحقيقية ،كما يقول ميرلوبونتي، تتكون من إعادة تعلم النظر إلى العالم. إنها مسألة تغيير طريقتنا في رؤية العالم عندما نمارس "اختزال الظواهر"، فلم نعد نرى العالم المريح الذي صنعنا فيه المفاهيم العلمية والمفاهيم الأخرى التي قمنا ببنائها، من أجل جعلها أسهل في التعامل فكرياً وعملياً(٩). تللك هي فلسفة الغموض ، أو بالأحرى كشف الغموص لبيان أصل الحقيقة،حقيقة إدراكنا للعالم.

وبدلاً من ذلك يجب علينا تدريب أنفسنا لرؤيته كوجود غريب،وغامض نواجهه عندما لا ندخل هذه المفاهيم بيننا وبين الأشياء. هذا هو عكس معنى " الاختزال" عندما نتحدث عن الاختزال كمجموعة معينة من المفاهيم من علم الفيزياء على سبيل المثال.بينما يمكن التقاط واقع كامل للأشياء. هذا الواقع يقارنه ميرلوبونتي بالفن.إنه ببساطة ليس تمثلاً لحقيقة موجودة مسبقاً ، لكنها تجبرنا على رؤية العالم بشكل مختلف ، وبهذا المعنى نخلق حقيقة جديدة.ومن ثم فالظواهر ينظر إليها ليس على أنها دراسة مجردة ، بل إننا نستخدم المفاهيم لفهم الدور الذي تلعبه في حياتنا في العالم: على سبيل المثال : إن فهم جوهرإدراك الظواهر ،هو فهم كيف يعمل الإدراك الفعلي في علاقاتنا مع العالم من حولنا ومع الآخرين. بهذا المعنى ،لا يمكن فصل "الجوهر" عن " الوجود"(١٠).

(٣) مفهوم الوعي والمشاركة عند ميرلوبونتي:

إن ظاهرية الإدراك طريق وسط بين التجريبية التقليدية والمثالية التقليدية،ومحاولة لوضع" فلسفة الغموض" من خلال نوع من الجدلية المثالية ـ التجريبية التي تتأرجح باستمرار بين هذين القطبين في تعريفاتها في إطار الزمان والمكان، وما إلى ذلك من صياغة المفاهيم الرئيسة التي تساهم في التعبير عن ظواهرية الإدراك ،والتي تثبت أصالة موقف ميرلوبونتي.فقد كان ينوي إرساء قاعدة صلبة كأساس للبحث في الظواهر التي من شأنها المضي قدماً من ظواهر الإدراك إلى دراسات :الخيال ،واللغة،والثقافة ،والعقل ، والجمال، والإخلاق، والسياسة،وحتى التجربة الدينية.حيث يهتم ميرلوبونتي بـ "أولية الفهم ".وهذا يعني أن تجربة الإدراك هي وجودنا ،وفي نفس اللحظة، وجود الأشياء والحقائق حيث يتم تشكيل القيم من جديد،بناء على الحقيقة الموضوعية التي تستدعي لنا مهام العمل والمعرفة.هذا لا يتعلق بالانتقال من المعرفة البشرية إلى الإحساس، ولكن بالمساعدة في ولادة هذه المعرفة لاسترداد عقلانية الوعي أو " وعي العقلانية".هذه الكلمات تحدد موقف ميرلوبونتي من حيث إطلاق برنامجه في الفلسفة، حيث يرفض ميرلوبونتي بنية قيمة الأشياء بشكل مستقل عن الوعي.فالظواهر ليست واقعية فقط ولا مثالية فقط،ولكنها تجمع بين هذا وذاك،من خلال أطروحة أولية الإدراك أو ظاهرية الإدراك.فعالم الحياة المدرك هو الواقع الأساسي ، الحقيقي،وهو ما يسميه ميرلوبونتي الإدراك الحسي للوعي.هذا هو طريقنا الأول

للوصول إلى الوجود والحقيقة.وهذه الهياكل تكمن وترافق جميع مستويات الوعي الفكري العالمي(١١).

ليس معنى هذا أن التجارب تنحصر فقط في الإدراك ،بل إن العالم الذي يعطى للتصور هو عالم ملموس.فيه مشاركة ما هو تجريبي ومثالي"تصور ـ ملموس".إنه عالم من الأشياء الطبيعية والثقافية المعروفة ، العالم الذي أتصرف فيه.حيث يتم تعريف التصور نفسه من حيث السلوك الحسي الحركي،الذي يتكون من أجله العالم.فالإنسان هو عالم من الوعي الذي يضم ويشمل كل المستويات الأخرى وعوالم الخبرة التي سنعيد بها اكتشاف الهياكل الأساسية للوعي الإدراكي.فنحن موجودون في العالم الذي يجمع العقلانية والواقع معاً.والعقل المُدرِك هو عقل متجسد، والعلاقة الغامضة هي ارتباطنا بل واشتباكنا بالأشياء المُدرَكة. لقد وجد ميرلوبونتي في تجربة العالم المتصور نوعاً جديداً من العلاقة بين العقل والحقيقة في جانبها الملموس" الشئ المتصور يكمن في جانبه الملموس". والعقل هو الحركة التي نسترد من خلالها الوجود الجسدي.وهذا يكمن في الوظيفة المزدوجة لجسمنا من خلال "الحقول الحسية" وتنظيمها ككل.فالجسم تكلم "لغة"، وهو سطح يضع نموذجاً لنفسه على الجوانب الطبيعية للعالم.فالجسم نشط قادر على الإيماءات والتعبير واللغة.وبالتالي فالجسم يتحول إلى العالم للدلالة عليه(١٢).

إن الوعي ليس مجرد مسألة "التحليل اللغوي" ، من خلال الحس المنطقي، ولكنه محاولة لتحقيق الوعي التأملي للنمط الكامل لكوننا " في العالم" الذي يشارك في القضية ذات الصلة.وبالتالي عند ميرلوبونتي تجمع الظواهر بين شكل من أشكال " الذاتية" ، مع شكل من أشكال " الموضوعية".إنها "ذاتية" عندما تعترف بأن جميع التجارب هي تجربة شخص ما ، وهي " كيف الأشياء" .أما ظهورها في موضوع معين لوصف الظواهر ،أي كيفية ظهور الأشياء ، يجب أن تكون كذلك بالضرورة وصفاً للتجربة الذاتية.فالتجربة هي انخراط في العالم، وهي وصف للذات.وليست وصفاً لشئ داخلي بحت، ولكن من خلال مشاركتنا في العالم الذي يوجد بشكل مستقل عما لدينا من تجربة.فالعالم ليس شيئاً نحن نفكر فيه فقط ،ولكنه المكان الذي نعيش حياتنا فيه ، والعالم هو الذي نتصرف فيه ، بما لدينا من مشاعر وآمال ،وكذلك العالم محاولة لمعرفة الظواهر.وهذا في نظر ميرلوبونتي نوع من الفلسفة المعادية للفلسفة التقليدية.إنها لا تريد أن ترتقي على نحو متعال للعالم من أجل تفسير أو تبرير لماذا العالم كما هو عليه الحال، ولكن لوصف وجودنا في العالم.ولذا فإن لدينا وسائل مختلفة عن كوننا في العالم،والذي يأتي قبل التفكير الواعي والتنظير.فعلم الظواهر ، كما رأينا ، محاولة للحصول على العالم بعيداً عن التراكيب النظرية والعلوم والفلسفة، التي نسعى من خلالها للحصول على السيطرة الفكرية على وجودنا،وللعودة إلى أوصاف بسيطة لمشاركتنا السابقة للانعكاس في العالم،والتي منها نشأت التراكيب النظرية(١٣).

فالمشاركة هي "الإدراك".أو بالأحرى هي كل الظواهر في " ظاهرية الإدراك".إذن الظواهر هي محاولة لتوضيح معنى المفاهيم التي نستخدمها والعودة إلى مصادر المعنى، ثم يجب أن يكون "التصور" وذلك لإضفاء المعنى على الفكرة المجردة بالإشارة إلى تجربتنا المباشرة للأشياء، أي إلى المعرفة.حتى لو أن الفكرة الأساسية "للإدراك" وجدت عند هوسرل، ولكنها وجدت تدخلاً عملياً مع الأشياء .فعند ميرلوبونتي إدراك شئ ما ليس فقط أن يكون لدينا فكرة عنه فقط ، بل الإدراك هو التعامل معه بطريقة ما. هذا ما يميز نوع الظواهر

التي يمارس فيها ميرلوبونتي التجريبية في الاتصال مع العالم. نحن نقارن اللغة بالإيماءات الجسدية.لأن هناك " لغة صامتة" تعتمد على الإيماء والحركة والخيال والوعي.وهذه اللغة هي أكثر عمومية تتمثل في القدرة الجسدية على التشابك مع هيئة تعبيرية أخرى.فليست الإيماءات حركة فقط ،ولا هي تعبيرات لغوية فقط .وهنا يكمن المرئي واللامرئي في فلسفة التعبير الجسدي،أو علم الوجود الجسدي الذي يعبر عن الانفتاح على العالم.إن علم الوجود الجسدي يسمح لنا بأن نرى بعيون متجددة ،وأن نلمس بطرق متجددة ،وبأيد متجددة ،وأن نشعر مع الأجساد المتجددة بالصلة المتجددة(١٤).

إن لغة ميرلوبونتي لغة جديدة في التعبير والتنويع وفقاً لمعناها الخاص.والعلاقات اللغوية تساعدنا على فهم النظام العام أكثر من العلاقات الرمزية.والتي تؤكد تبادل الأفكار والقيم، جميع أنواع القيم،من أجل التعايش بين الناس داخل ثقافة ما ، وخارجها، ضمن تاريخ واحد .ويتم ذلك من خلال الوعي.هذا هو الغموض " الجيد" الذي يجمع الماضي والحاضر،الطبيعة والثقافة في كل واحد.فنحن نشهد التصور وأفقه في العمل للجمع بين الإدراك والوعي بنوع من "الهوية" مع احترام التنوع.وهذه الهوية تسمح لي بمشاركة الآخر،لأن سلوك الآخر يحدث داخل مجال إدراكي،تماماً مثل جسدي.فجسدي يؤسس وحدة الأشياء التي أراها،كحامل للسلوك الرمزي ،ولكن سلوك الواقع الحقيقي هو الذي يقدم مهمة التواصل الحقيقي والمشاركة في الموضوعية،مما يعطي قيمة عالمية للإدراك.ومن هنا يختفي التناقض بين المثالية والموضوعية.فنحن منفتحون على الطبيعة وهذا الانفتاح يوفر لنا إمكانية جديدة للتنمية.فهناك طريقة أخرى لفهم " الكوجيتو" ليس فقط من أجل الإمساك بحقيقة " أنا أفكر" ولكن أيضاً من الأشياء التي يعتقد فيها الفكر(١٥).

هناك الوعي الذاتي وفي الوقت نفسه" هوية" الكل .وهكذا فإن المفهوم الملموس للظاهرة والموضوع يتمثل في الوحدة الديالكتيكية للحظة التي تميز الذات والمتعالي.فالذاتية هي " الظهور" في " العالم" هذا ما يقصده ميرلوبونتي بعالمية الظواهر.فظواهر التصور قريبة من الواقع الحي عند ميرلوبونتي وهذا الطريق يشمل المتعالي.مع التأكيد على أن نظرية " الجسد" هي بالفعل نظرية " الإدراك".والذاتية المتعالية هي التفاعل والمشاركة بين الذوات Intersubjectivity.على أن حل مشكلة التعالي بالسعي في الحاضر،وربط التناقض" التنافر" بين ذلك الجسد ، والعالم ،والشئ..إلخ.مع الوضع في الاعتبار أنه لا توجد لدى الظواهر أي ضمانة معرفية مميزة للعالم والحقيقة.ويمكن وضع هذه العلاقة بين المعنى واللامعنى.إنك تعيش في فعلك ،فعلك هو أنت،وفي المقابل فأنت تعطي نفسك أهميتك الحقيقية والتي تصبح واضحة في: واجبك ، كراهيتك ، حبك ، إخلاصك ، إبداعك(١٦).

فالإنسان ليس سوى عقدة من العلاقات ، هذا هو موقف ميرلوبونتي. فالإنسان الذي يعطي حياته كلها للعالم من أجل تفعيل رد فعل إيجابي على السؤال: هل أهب حريتي لإنقاذ الحرية؟فالبطل قد استُثمر بالكامل في تحقيق الحرية،مفهومة بعبارات عالمية.بسببها يتحقق قبول ضمني للحرية الحقيقية التي لا تعرف أي فرد ، حيث يعطي البطل المظهر للاستعداد للتضحية الشخصية ،مما يعني أن الحياة البطولية تجسد التزاماً لا هوادة فيه للحياة العالمية. فالبطل هو فرد يعيش خصوصية حيويته كإنسانية عالمية. ومن ثم فإن البطل هو شخص حيوي مثالي أو شخص حي.والأبطال هم الذين يشتغلون بشكل كامل بفكرة" حب الحياة" غير القابلة

للاختزال للوجود البيولوجي، ولكنهم يعيشونها على مستوى العلاقات الإنسانية ، كما يرى ميرلوبونتي(١٧).

لا يهتم ميرلوبونتي بالوعي المجرد عديم الجدوى ،ولكنه يهتم بالوعي الموجود في العالم.فـ "نحن موجودون" لايمكن أن تختزل إلى متغيرات قائمة على العلاقات الوظيفية التي يكشف عنها العلم الفيزيائي.فعالم الحياة لديه بنية ذات معنى خاص.ومن ثم يرفض ميرلوبونتي الثنائية الديكارتية،وهدفه هو القضاء على التناقضات التقليدية بين الواقعية والمثالية ،الجسد والروح، الإحساس والعقل ، عن طريق وصف الظواهر وتحليلها بطرق جديدة، خارج الطرق التقليدية.وهذا يمثل انفتاحاً على العالم من أجل استكشاف وتحليل الظواهر،من أجل فهم علاقات الوعي والطبيعة العضوية والنفسية والاجتماعية...إلخ بعيداً عن السببية التي يعتبرها ميرلوبونتي ليست عملية منتجة(١٨).

وأما إذا تساءلنا عن موضوع التفلسف ،كان رد ميرلوبونتي :إنه الوعي الفلسفي الذي يجعلنا نفكر في العالم،والآخرين ،والتاريخ البشري،والحقيقة،والحضارة ...إلخ.ولكننا حين نتفلسف،فإننا لا نعد هذه جميعاً "وقائع" جاهزة معدة من ذي قبل،أو أشياء تلقائية تفسر نفسها بنفسها،بل إن من شأن الوعي الفلسفي أن يجئ فيكشف لنا عن الغرابة الأصلية التي تنطوي عليها كل تلك الظواهر.ومن هنا يؤكد ميرلوبونتي على القول بأن الفلسفة بطبيعتها خبرة غامضة ملتبسة لا تخلو من تناقض وصراع وتوتر حي(١٩).

المحور الثاني: بين ميرلوبونتي وبرجسون:

يشتمل هذا المحور على الأفكار التالية:

(١) تأثر ميرلوبونتي ببرجسون.
(٢) فينومينولوجيا الإدراك الحسي .. مبادئ لفلسفة وجودية.
(٣) طبيعة المعية القائمة بين الذات والعالم من خلال فلسفة الغموض وأصل الحقيقة.

وسيلي عرض الأفكار على النحو التالي:

(١) تأثر ميرلوبونتي ببرجسون:

تأثر ميرلوبونتي ببرجسون Henri Bergson(١٨٥٩ - ١٩٤١) الذي نجده كثيراً ما يشير إلى نظرياته في الإدراك والمادة والذاكرة ،ولو أنه غالباً ما يعارض الآراء البرجسونية، محاولاً في الوقت نفسه ان يفسرها تفسيراً خاصاً.فهو يبدأ بدراسة الظواهر السيكولوجية الخاصة، لكي ترقى من بعد إلى أعلى المشكلات الفلسفية وأكثرها عموماً.وقد جعل ميرلوبونتي من مشكلة "الإدراك الحسي" نقطة البدء ومحور الارتكاز في كل فلسفته.والحق أننا لو أمعنا النظر في كتاب "فينومينولوجيا الإدراك الحسي" لوجدنا أنه ينطلق من هذه الظاهرة السيكولوجية المحددة،لكي يمضي إلى فينومينولوجيا الخبرة والوعي،آملاً من وراء التحليل الفينومينولوجي الكشف عن الطابع المفتوح للخبرة البشرية بصفة عامة(٢٠).

وقد استمد ميرلوبونتي عناصر تركيب العالم من معطيات الشعور المباشرة كما هي الحال عند برجسون.ولنا الآن أن نعود إلى السؤال الذي بدأ منه ونرى إلى أي حد استطاع ميرلوبونتي أن يتجاوز التقسيم الكلاسيكي للذات والموضوع.لقد راينا أن الجسم هو تعبير لوجود الوعي في العالم. ويرى ميرلوبونتي أن الذات التي أكونها ، بالمعنى العيني،لا يمكن فصلها عن هذا الجسم وعن هذا العالم.والعالم والجسم الأنطولوجيان اللذان نلقاهما في قلب الذات ليسا هما العالم كفكرة أو الجسم كفكرة وإنما هما العالم ذاته مضغوطاً في إدراك شامل والجسم نفسه بوصفه جسماً عارفاً.كذلك عرفنا أن الوعي يعني دائماً أن نعي شيئاً على أساس من أرضية العالم،وأنه دائماً وعي جسماني، بصري أو غيره،بإزاء الوعي الحسي الكامل بالعالم.ففي مجرد الوعي يكون الوعي منتبهاً على أنحاء مختلفة لجملة العالم.بيد أن علاقة الجسم بالأشياء هي علاقة موضوعية،أما علاقة الوعي بالجسم فهي علاقة وجودية(٢١).

بيد أن الثنائية عند برجسون لا تعني الفصل بين النفس والجسم،إنما تميز بينهما دون أن ترتب على هذا التمييز إقامة اتصال بينهما.ذلك أن هناك توازياً بين الحالات الجسمية والحالات النفسية،ولكنه توازٍ في اتجاه واحد،بمعنى أن كل حالة نفسية تقابلها حالة فسيولوجية هي بمثابة الإطار الجسمي لها.وبغير هذا الإطار،أي بغير الجسم،لا يمكن للنفس أن تفعل أو تعبر عن أفكارها.ففلسفة برجسون تمضي في اتجاه التقريب بين النفس والجسم.وكتاب " المادة والذاكرة" في دراسته لمشكلة الإدراك الحسي يبرز فكرة الالتقاء بين عالم الشعور وعالم الأجسام.وهو يرى في الكتاب أن العيب في كل من الفلسفة المادية والتصورية هو أنهما يبدآن بالتمييز والفصل.وفي نظره ينبغي أن نبدأ من الوحدة: فليس ثمة شعور من ناحية وأجسام من ناحية أخرى،وإنما هناك وجود كامل كلي متصل.وهذا الكل يسميه برجسون " صوراً"

Images. والصور تتركز وتتحد فيما بينها فتبدو روحاً أو فكراً وتتشعب وتفترق فتبدو مادة أو جسماً.وليس الجسم الإنساني إلا إحدى هذه الصور(٢٢).

وإذا كان الجسم الإنساني في نهاية الأمر صورة،فإنه بهذا الاعتبار لا يمكن أن يحفظ صوراً أو أن يبعثها.فهو مجرد مركز عمل مهمته استقبال التأثيرات الصادرة من الصور الأخرى واختيار الاستجابة على هذه التأثيرات.إنه حلقة اتصال بين المادة التي تؤثر فيه والمادة التي يؤثر فيها.وهذا هو وجه امتيازه على الصور الأخرى.إنه صورة ممتازة لأنه قادر على أن يختار بين إمكانيات عدة كوسيلة للتأثير.فالجسم إذن أداتنا في الاسترجاع.إنه الحد المتحرك الذي يدفع به الماضي باستمرار نحو المستقبل حيث يستحيل إلى فعل يتحقق.ولولا الجسم لما أمكن الاستدعاء ولا الإدراك الحسي ولا الفعل.إنه كما يقول برجسون مركز الظواهر الحسية الحركية Sensori –motor.على أن جسمنا هو أداة عمل الجسد.بشرط ألا نهمل علاقة الإدراك بالفعل ،والذاكرة بالسلوك،والجسم بالعقل، حيث تتحول كل من الذاكرة والإدراك إلى العمل على قبول الجسم(٢٣).

ويؤكد برجسون في كتابه " المادة والذاكرة" حقيقة الروح وعلاقتها بالذاكرة،ومن ناحية أخرى فهو يتعامل مع الجسم والعقل للتغلب على الثنائية المعهودة بين الواقعي والمثالي (المتصور).ويتناول اتحاد الروح والجسم باعتبارها غير قابلة للاختزال وحقيقة لا يمكن تفسيرها،تلك التي تحدث بشكل غامض من الجسم كأداة للروح،لا يكاد أي تصور نفسي أن يصل للعلاقة الفرضية لها.فأنا فعل حقيقي وفعلي،والأشياء التي تحيط بجسمي تعكس قدرتها في العمل "في الأشياء".إن الذاكرة صدى لمجال الوعي ،وذلك لاستعادة الذاكرة في الإدراك،وذلك لتحديد نقطة الاتصال بين الوعي والأشياء، بين الجسم والروح.فإذا كانت هناك ذاكرة ،وهذا هو بقاء الصور الماضية ،فإن هذه الصور يجب أن تختلط باستمرار مع نظرتنا للحاضر.حيق يبقى التذكر درجة من التصور.والإدراك سيقع بين التصور والتذكر للتمييز بين الماضي والحاضر.فالذاكرة الروحية الخالصة من المادة حقيقة.ولكن ليس كافياً،بأي حال من الأحوال، بقاء التذكر كتصور.فالتصور فقط تمثيل مشابه.ومن ثم فالاختلاف بين الإدراك والتذكر هو اختلاف في الدرجة،لأنها ظواهر مكتفية بالتمثيل.ولكن ، على العكس من ذلك، نحن نجد أن الفرق بين التصور والتذكر ليس فقط اختلافاً في الدرجة ولكن في النوع(٢٤).

بيد أن مشكلة الذاكرة لا يمكن أن تنفصل عن مشكلة الإدراك الحسي،كما أن الماضي لا يمكن أن ينفصل عن وجود الحاضر.فالذاكرة عند برجسون ليست ظاهرة فسيولوجية،بل ظاهرة سيكولوجية تعبر عن صميم حياتنا الشعورية. يرى برجسون أن المستقبل الوشيك "فعل" أو"حركة" .وإذن فإن الحاضر إحساس وحركة معاً،إن ماهية الحاضر تنحصر في كونه مركباً "حسياً حركياً".والواقع أن " حاضري" إنما ينحصر في الشعور الموجود لديَّ عن "جسمي" .وهذه النقطة يتفق فيها كل من برجسون وميرلوبونتي .ولما كان الجسم بطبيعته ممتداً في المكان فإن من شأنه أن يشعر بالإحساسات في نفس الوقت الذي فيه يقوم بأداء الحركات.والجسم هو " مركز فعل" يتلقى التأثرات ويصدر الإشارات،فهو حلقة الوصل بين المادة التي تؤثر فيه والمادة التي يؤثر فيها.وإذا صح أن نقول إن المادة ـ باعتبارها ممتدة في المكان ـ هي حاضر لا يكف عن الابتداء من جديد،فقد يصح أن نقول (إذ العكس صحيح أيضاً) إن الحاضر يمثل ما في وجودنا من مادية(٢٥).

إن كتاب " المادة والذاكرة" هو ضربة قاضية يوجهها برجسون إلى مذهب التوازي النفسي الفسيولوجي،محاولاً من ورائها أن يثبت أنه ليس ثمة ارتباط مباشر بين وظيفة الذاكرة وبين الدماغ والمخ، بمعنى أنه ليس ثمة توازٍ بين الوظائف النفسية وبين حالة الخلايا الداخلية في تركيب المخ ،ولما كانت هذه العلاقة إنما تنكشف أولاً وقبل كل شئ من خلال الإدراك الحسي،فإنه لابد لنا من أن نعرض لدراسة الصلة بين الإدراك الحسي من ناحية ، وبين الإدراك الحسي والصور المادية من ناحية أخرى.ومثل هذه الدراسة ـ فيما قـال برجسون ـ قد تلقي الكثير من الأضواء على طبيعة العلاقة بين الروح والمادة(٢٦).

ولكن علينا اكتشاف أين تكون عمليات الذاكرة على سطح الجسم (أين تبدأ على سطح الجسم وأين تنتهي).وما هو دور العقل ، وما العلاقة بين الروح والمادة.إن الماضي من الجهود المختزنة في الحاضر ،والذاكرة دائماً عازمة على العمل،العمل الذي يجلس في الحاضر ويبحث في المستقبل.لقد احتفظت من الماضي بذكاء الحركات التي تمثل الجهود المتراكمة للماضي.وإذا كانت الذاكرة تستحق (اسم الذاكرة) ليس لأنها تحفظ الصور القديمة ، ولكن لأنها تطيل في تأثيرها المفيد في الوقت الحاضر.الآن تللك العملية الملموسة التي نمسك بها الماضي في الحاضر هي الاعتراف بشكل عام بذاكرة الصور والحركات.ففي اللحظة التي تصبح فيها الصورة "ماضياً" تترك حالة الذاكرة الخالصة وتتزامن مع جزء معين من حاضري، ذاكرة تختلف في الصورة ،ثم في الذاكرة الخالصة،الصورة هي حالة حاضرة، وحصتها الوحيدة في الماضي هي الذاكرة.هي خالصة من كل مزيج من الإحساس ،والوعي هو الحالة المميزة للحاضر.والوعي قد لا يكون مرادفاً للوجود.ففي مجال الوعي ما هو حقيقي هو الفعلي"الواقعي".والوعي هو الذي يستحضر الذاكرة حيث يكون الإدراك ضعيفاً.ووظيفة الجسم هي إعداد الطريق لتقريب الجسم والعقل،بعد دراسة للتصور الخالص والذاكرة الخالصة.ويتعين علينا إحضارهما معاً.خاصة أن التذكر الخالص روحي،وأن الإدراك يلقي الضوء على الفعل المتبادل بين الروح والمادة.فالإدراك هو في الواقع "مثالي".يطيل الماضي في الحاضر ،وبالتالي يشارك في الذاكرة.إذن نحن هنا بصدد مشكلة اتحاد الروح والجسم ، من أجل إلقاء الضوء على الترابط بين الجسم والعقل(٢٧).

وبالعودة إلى العالم المعيش فإن التجربة الحية التي من خلالها يُعطى لنا الآخر وتُعطى لنا الأشياء، ونستعيد منظومة " الأنا ـ الآخر ـ الأشياء".هذا الميدان الفينومينولوجي ليس عالماً داخلياً .والظاهرة ليست حالة وعي أو واقعاً نفسياً ، وتجربة الظواهر ليست استبطاناً أو حدساً بالمعنى الذي يستخدمه برجسون في(المعطيات المباشرة للشعور) . فالعودة للمعطيات المباشرة للوعي تصبح عندئذ عملية لا أمل فيها. فالعالم المعيش ليس كباطنية برجسون ، مجهولاً تماماً من قبل الوعي البسيط.فاختيار الظواهر ليس إذن مثل الحدس عند برجسون،اختباراً لواقع مجهول لا يمكن بلوغه منهجياً ـ فهو إبراز أو إيضاح الحياة السابقة للعلم الذي يعطي وحده لعمليات العلم معناها الكامل.وهي بدورها تحيل عليه دائماً. ليس ذلك ارتداداً لاعقلياً ، بل هو تحليل قصدي.هذا ما حدث لبرجسون عندما استبدل الطاقة الآلية بطاقة روحية ، إن معنى وترابط وحقيقة المدرَك لا تنتج من الالتقاء بأحاسيسنا كما تعطينا إياها طبيعتنا النفسية ـ الفسيولوجية. فالوعي كموضوع للدراسة لا يمكن تحليله بسذاجة دون أن يقود إلى ما يتعدى مسلمات الحس العام ، فإذا أردنا مثلاً أن نجري علم نفس وضعي للإدراك

مع قبولنا بأن الوعي ينحبس في الجسم ويتلقى من خلال تأثير العالم بذاته ، فسوف يؤدي بنا ذلك إلى وصف الموضوع والعالم كما يظهران للوعي وإلى التساؤل بالتالي ما إذا كان هذا العالم حاضراً مباشرة .فعلم النفس يصطدم دائماً بمشكلة تكوين العالم(٢٨).

لقد تناول ميرلوبونتي برجسون من حيث تركيزه على مشكلة اتحاد الروح والجسم، والعلاقة بينهما ،وذلك من خلال كتاب برجسون " المادة والذاكرة".فقد حاول ميرلوبونتي أن يشترك في أرض جديدة بين التجريبية والعقلانية،في حل ثالث جدلي وتكاملي،حل التضاد بين العقل والجسم والموضوع والعالم.حيث يدرك ميرلوبونتي هذا النشاط غير القابل للاختزال، والذي يميزه الإبداع والتوافق الجدلي بين الموضوع والهدف،الوعي والجسم ، النفس والعالم،الداخل والخارج،بطريقة مماثلة،لنعمل في إطار الوعي والحرية.ولكن الوعي عند برجسون هو الحدس الذي يعمل جدياً في تشكيل الزمن كحركة داخلية ،تنشأ داخل أنفسنا.ومن ثم فإن الحدس ليس بواقع خارجنا.فالتفكير يشارك في العالم العيني الملموس.وفي المادة والذاكرة يخبرنا برجسون بأن هناك نغمات متنوعة من الحياة العقلية،وكذلك النفسية،وفقاً لدرجة انتباهنا إلى الحياة.حيث يهدف برجسون إلى استعادة الجسم إلى صراعه مع العالم.ولكن عند ميرلوبونتي يجب الإمساك بالجسد من منظور عالمي، في اتصالــه مـع محيطه(٢٩).

فخطأ برجسون هو الاعتقاد بأن الذات المفكرة تستطيع أن تذوب مع الموضوع الذي نفكر فيه،وأن المعرفة تتمدد لتمتزج مع الكائن.أما خطأ الفلسفات التأملية فهو الاعتقاد بأن الذات المفكرة تستطيع أن تمتص في تفكيرها أو تلتقط الموضوع الذي تفكر فيه دون بقايا، عندها يتوحد الكائن مع معرفتنا.إن وعي الجسم يجتاح الجسم ، والنفس تنتشر في كل أجزائه، فتجربة الجسم"تصور" و"واقع نفسي" لسلسلة من الأحداث النفسية والفسيولوجية.إن تجربة الجسم تجعلنا نكتشف ضغط المعنى الذي ليس هو ضغط الوعي المكون الشامل، معنى يلتصق ببعض المحتويات .إن جسدي هو النواة الدالة التي تتصرف كوظيفة عامة.فالجسم وحدة متميزة عن وحدة الموضوع العلمي(٣٠).

إن برجسون لا يبحث عن نقطة الانطلاق لمعرفة الموضوع من حيث كونه موضوعاً في الوجود ،ولكن من أجل إدخال (حتى الأماكن) في الإدراك.ومن ثم فإنه يفقد التمييز بين الوعي وموضوع الوعي،بل إنه يحاول تقديم موضوع الإدراك في وقت لاحق،لكنه ذلك الإدراك الذي سوف يعرض الموضوع من الناحية الواقعية،باعتبارها غير موجودة.ومن ثم يصف برجسون العالم من خلال الذاكرة الخالصة ،المختلفة تماماً عن الحقيقة الوجودية ،التي هي لقاء بين عالمي التجربة والتصور الملموس والذي يشكل لنظرية الجسم نقطة التقاطع بين الإدراك والذاكرة،والتي من خلالها ينكشف الصراع بين ما هو مادي وما هو مجرد صورة في الذاكرة.ولكن الوعي والحرية لن يتوقفا عن العالم المادي ،ولا عن قاعدته للذكريات الخالصة المحضة.وفي نظر ميرلوبونتي أن برجسون قد فشل في تأسيس التعبير عن المستويين (العقلي والواقعي) ، أو الوعي والحرية.ويحاول عبثاً تحقيق الجمع بين الإدراك الخالص والتذكر الخالص(٣١).

ولكن الذاكرة هي وعي بالماضي،ولا يوجد أي أثر حاضر فيه للمحاسبة عن الحاضر.وفي نظر ميرلوبونتي أن عدم واقعية الماضي يمنعه من أن يدعم الحاضر.بالنسبة لبرجسون:الجسم

هو الحاضر:إنه لحظة في جدلية الزمن ،وكل وعي للماضي لديه علاقة مع الجسم.كما أن وعي الحاضر يحتوي على إشارة إلى الماضي.هذا هو ما يقدمه برجسون عندما يحاول أن يمنح الجسم وظيفته.حيث يمكن فهم الزمان من قِبَل الجسم فيما يسميه برجسون"الذاكرة الجسدية".فالماضي يترك حالة من التذكر النقي ويتزامن مع جزء معين من حاضري في الواقع.تختلف الذكريات عن "صور" ما في التذكر الخالص.فالصورة هي حالة حاضرة،وحصتها الوحيدة من الماضي هي تذكر من نشأت منه.وهذا في نظر ميرلوبونتي تذكر عاجز،لايزال دون فائدة.فالوعي يرتبط عند ميرلوبونتي بالوظائف الجسدية.ولذا فإننا لن نستطيع أن نرى ما الفائدة القائمة على مجرد المعرفة الخالصة.إن هذه المعرفة لا تملك شرعية لما يحمله الواقع.فما هو حقيقي "فعلي".ومن ثم علينا استعادة الدور الحقيقي للوعي.فالماضي هو توقف عن إدراك الأشياء المادية .فالماضي شئ افتراضي ،والرغبة في توصيف بُعد الماضي يجعل برجسون يقوم بتعبئة "الأشباح"، فالتذكر "شبح" أو " اقتراح رمزي"،مما يستدعي إعادة تشكيل الصورة كاملة.فالحاضر يحتل مكاناً.إنه مركز الحركة.ولذا فإن الحاضر "فريد".كما أن الذكريات جوفاء،بما أن الوعي هو الوجود.والجسد"الجسم" حاضر لي كأفق مفتوح.ومن ثم فإن تجريبية برجسون لا يمكن أن ترضي العقل ، إنها تجريبية عمياء(٣٢).

فعلينا أن نكتشف الوحدة الميتافيزيقية داخل أنفسنا وخارج أنفسنا حتى نعرف أننا موجودون وجوداً فعلياً.فيجب علينا فهم الحياة وفهم أنفسنا في هذه الحياة ككائنات واقعية ممتزجة بالواقع.فالحدس ليس إدراك الوحدة بون التنوع.و"المدة" هي الحقيقة المتناقضة التي تربط بيننا وبين الأشياء الموجودة خارج أنفسنا. إن الخبرة هي أساس الواقع وأصل الحقيقة والعقيدة الإدراكية والانتقال من مستوى الميتافيزيقا إلى علم الوجود(الأنطولوجيا). حيث يدعو ميرلوبونتي لعلم الوجود الذي يهتم بالإنسان.والغموض هنا يحمل الاحتمالات المتناقضة والتي هي ضرورية لبيان إمكانية الحقيقة وإمكانية الخطأ. لقد كشفت مواجهة_ميرلوبونتي مع برجسون أنه لا يوجد حدث بشكل مطلق أو كامل أو فعلي.فالوجود هو إمكانية التاريخ الذي يحتمل بدوره الخطأ(٣٣).

كما أن الوجود: القصدية من خلال العودة لمفهوم الجسم (الجسد) الذي ينفتح على حقائق العالم من حيث اختلافاتها.وكذلك حكم هذا الاختلاف هو إمكانية الحقيقة والخطأ في التاريخ.فالغموض في كل لحظة ممكن على الرغم من أننا وهبنا ضوءاً طبيعياً.فلا يوجد حدث بشكل مطلق أو كامل أو فعلي.فكما سبق وأن قلنا إن الوجود إمكانية التاريخ ، والتاريخ بدوره هو احتمال الخطأ، كما أن الوجود هو القصدية.فالمفاهيم غير مرئية ،مثلما أن الهواء غير مرئي، ولكن هذه المفاهيم تشارك في الإدراك الحسي من أجل تمثيلها، ولكن مع تصور محض ،حيث يتحد الإحساس والوعي. بيد أن الغموض ليس سلبياً ،إنه كشف تأويلي للوعي. وعلاوة على ذلك فالغموض الجيد لا يمكن التخلص منه،لأنه لا ينفصل عن أسلوب الفيلسوف في الحديث عن الوجود ،ولذا فهو يساهم في معرفة التاريخ والعالم.الغموض هو أن نتعاون ولا نستبعد بعضنا البعض،نتعاون باسم فلسفة المشاركة والحضور التام(٣٤).

<u>ولنتساءل : ما دور التذكر(الذاكرة) في فلسفة ميرلوبونتي؟</u>

إن الوعي هو وعي شئ ما.والتذكر ليس إحضار لوحة من الماضي قائمة بذاتها تحت نظر الوعي ، بل الغوص في أفق الماضي وفرز وجهات النظر المتشابكة في داخله شيئاً فشيئاً حتى تصبح التجارب التي يختصرها وكأنها معيشة من جديد في موضعها الزمني، حيث إن الإدراك غير التذكر. فالذاكرة تذكر تدريجي للانتقال المستمر للحظة داخل الأخرى وعلى اندماج كل واحدة مع كامل أفقها في كثافة اللحظة التالية.فالانتقال المستمر ذاته يحتوي الموضوع كما هو هناك،بحجمه الحقيقي ، وأخيراً كما أراه لو كنت بقربه، في الإدراك الذي أملكه عنه من هنا.وكما أنه لا نقاش حول "حفظ الذكريات" بل فقط شكل معين للنظر إلى الزمن الذي يبرز الماضي كبعد للوعي غير قابل للتصرف ،كذلك لا وجود لمشكلة المسافة. والمسافة قابلة للرؤية مباشرة ، شريطة أن نعرف كيف نستعيد الحاضر الحي حيث تتكون هذه المسافة. أما عن دور الذاكرة فيرى ميرلوبونتي أن الخبرة السابقة تساعد على تنظيم الإدراك الحالي، إذ يجب مقارنة التجربة الحالية مع الماضي.فالمشاركة تقتضي دور الذاكرة.لأن الذاكرة تشارك في التجربة الحالية(٣٥).

(٢) فينومينولوجيا الإدراك الحسي .. مبادئ لفلسفة وجودية:

ما هي الفينومينولوجيا؟

هي دراسة جوهر الأمور، فهي تُرجع كل المشاكل إلى تعريف جوهر الإدراك ، وجوهر الوعي، ثم تعيد وضع الجواهر في الوجود. وهي أيضاً عرض للمكان والزمان والعالم الذي نعيش فيه.إنها محاولة وصف مباشر لتجربتنا كما هي. بغض النظر عن أصلها النفسي وتفسيراتها السببية التي يمكن للعالم أو المؤرخ إعطاؤها.إنها موجودة كحركة قبل التوصل إلى وعي فلسفي كامل. إن الفينومينولوجيا وصل بين الذاتية والموضوعية في مفهومها للعالم والعقل. و العالم الفينومينولوجي ليس الكائن المحض ، ولكنه المعنى Senseالذي يظهر من خلال تقاطع تجاربي مع تجارب الآخرين، من خلال تشابك كل التجارب.إنها لا تنفصل عن الذاتية ، والذاتية المتبادلة تتوحد باستعادة تجاربي الماضية في تجاربي الحاضرة، واستعادة تجربة الآخر في تجربتي.حيث يحاول الفيلسوف أن يفكر في العالم والآخر ونفسه ويتصور العلاقة فيما بينهم.فالعقل يقاس بالضبط بالنسبة للتجارب التي يظهر من خلالها . ومن ثم فإن الفلسفة الحقيقية هي التي تعيد تعلم رؤية الأشياء(٣٦).

إذن هناك ارتباط بين ما هو تجريبي وفكري.فالمسألة مزدوجة فيما يتعلق بالنظريات الفلسفية والنفسية للإدراك.فكلمة الإحساس وحدها عند ميرلوبونتي تشوه فهمنا للتجربة الإدراكية،لأن الإدراك يضم الأشياء الخارجية التي تشتمل على الأشياء والأشخاص والأماكن والأحداث،أي ما هو "موضوعي وذاتي "، "خارجي وداخلي" .فالشعور بالألم ليس مجرد الألم ،فليست الآلام مجرد مشاعر نربطها بأجزاء من جسدنا،ألمي في ساقي، يدي ،رأسي يؤلمني،ولكن التصور متشابك بشكل أساسي مع العالم الذي نتخيله، ومع الحقل الإدراكي المتشابك مع الآخرين.فكل جزء يثير توقعات أكثر مما يحتوي،بحيث يكون الإدراك مشحوناً بالفعل مع المعنى.إذن نحن بحاجة لإطار مفاهيمي جديد لفهم القصدية باعتبارها الترابط الضروري للخبرة والعالم،والذي يعبر عنه ميرلوبونتي بأنه" متشابك"،يتشابك فيه الجسم والعالم،أو ما يسميه " الجسد" المشترك للعوالم الملموسة.فهناك علاقة وثيقة بين التصور

والحركة الجسدية ،مما يجمع العقل والجسم معاً.فجسدي ملموس فقط لأنني بالفعل موجه نحو محيطي في بيئة خارجية ، كما أن البيئة متاحة لي فقط من خلال إدراكي الجسمي.فأنا على وعي بالعالم عن طريق " جسمي"، مما يشكل التجربة والمحتوى المعرفي(٣٧).

يحاول ميرلوبونتي أن يستخرج من الفلسفة الفينومينولوجية مبادئ فلسفة وجودية جديدة تعود إلى الواقع ،وتعترف بالعالم المدرك.فالواقع نسج محكم ليس من شأنه أن ينتظر أحكامنا حتى يميز الظواهر الحقيقية عن الأوهام المتخيلة،كما أن العلاقة القائمة بين الإنسان وعالمه إنما هي منذ البداية علاقة مشاركة تقوم على التبادل. ومن هنا فإن الإدراك الحسي هو في صميمه عود إلى الأشياء،ورجوع إلى تلك المعرفة الأولية السابقة على كل معرفة علمية،كل مهمتها منحصرة في العمل على وصف العالم.وهنا نتساءل: عما إذا كنا ندرك العالم في الحقيقة؟!.فالعالم ليس بمثابة موضوع أملك في ذاتي قانون تركيبه،وإنما هو الوسط الطبيعي أو المجال الأولي الذي تتجلى فيه كل أفكاري ،وتتحقق في نطاقه شتى إدراكاتي الحسية.وقد نظن أن الحقيقة كامنة في باطن الإنسان،فالإنسان موجود في العالم ،وهو لا يعرف نفسه إلا داخل العالم.وعبثاً أحاول أن أبحث في صميم ذاتي عن مركز خاص تنبع منه"الحقيقة الباطنة"،فإنني لن أجد سوى ذات مفتوحة قد جعلت للعالم(٣٨).

وحينما يتحدث ميرلوبونتي عن "الكوجيتو"Cogito أو الشعور بالذات ،فإنه لا يتحدث عن "كوجيتو" فردي فيه وجود الذات من أجل الفكر،بل هو يتحدث عن "كوجيتو" وجودي يكشف لي منذ البداية عن "وجودي في العالم" و" وجودي مع الآخرين".وإذن فإن العالم ليس هو ما أتعقله ،بل ما أحياه،وأنا حين أقول إنني مفتوح أمام العالم،فإنني أعني بذلك أنني أشارك في هذا العالم،دون أن أمتلكه ،ودون أن أستوعبه.وعلى ذلك فإن مهمة الفلسفة الحقيقية لا تكاد تعدو محاولة الكشف عن العالم ،أو العمل على إعادة النظر إليه.وحينما يكشف المرء عن سر العالم ،فإنه يكشف في الوقت نفسه عن سر العقل.حيث يقرر ميرلوبونتي في كتابه"فينومينولوجيا الإدراك الحسي" أن كل شئ له معنى،وليس علينا سوى أن نتوصل إلى وصف تلك المعاني أو الماهيات،وعلى وصف ماهية الخبرة والوعي. إن ديكارت Rene Descartes(١٥٩٦-١٦٥٠) وكانط Immanuel Kant(١٧٢٤ - ١٨٠٤) قد أطلقا الذات أو الوعي على أنني لا يمكن أن ألتقط أي شئ على أنه موجود إذا لم أعبر أولاً عن نفسي كموجود في عملية الالتقاط هذه. لقد أظهر الوعي ، عند ميرلوبونتي - حقيقة ذاتي المطلقة بالنسبة لي. فلا شئ بدون الذات ، فالذات تنكشف لنفسها. كما أن الذات موقوفة للعالم، وجوهر الوعي هو استعادة هذا الحضور الفعلي للأنا في مواجهة الأنا . فالعالم ليس الذي أفكر فيه ، بل الذي أعيشه، إنني منفتح على العالم(٣٩).

إن الجسم هو المصطلح الأساسي في أنطولوجيا ميرلوبونتي.وحريتنا لا ينقسم فيها الواقع إلى عقلي وجسدي،لكن العالم كلّ واحد ،نحن والعالم نشارك في حوار واحد مع بعضنا البعض ،وذلك لتطوير الإدراك الحسي في كل أقطابه.فنحن"جسم بشري" في هذا العالم ،ونحن موضوع هذا الجسم.وتجربتنا تنشأ من الخبرة الواقعية التي تعرض تشابك الرؤية والحركة في علم الوجود الجسدي الذي يسمح للمرء برؤية وسماع ولمس وشعور الكائنات الأخرى من خلال وصف تعدد العلاقات بين الكائنات والتشابك(٤٠).

ليس الجسم إذن قطعة من المكان أو مجموعة من الوظائف،لكن هذا الجسم متشابك في الرؤية والحركة.مثل الفنان الذي يغير العالم ويحوله إلى لوحات .فماذا ستكون الرؤية دون حركة العين، والتي تجلب الأشياء معاً ،لأن الحركة ليست عمياء ،وليست مجرد رد فعل.فالعالم المرئي يعي الحركة .فالحركة ليست مجرد قرار يتخذه العقل ،ولكنها فعل مرسوم من أعماق نضوج رؤيتي.فجسدي يتحرك فيشع من الذات ..."الغموض" و هو أن جسدي يرى كل الأشياء.وحركة الجسم هي مسألة عقل وروح(٤١).

وحتى حينما أنتقل ببصري من موضوع إلى موضوع ،فإنني لا أملك في هذه الحالة أدنى شعور بعيني نفسها، من حيث هي " موضوع" يقوم بحركة في المكان ، كما أنني لا أشعر أيضاً بما يتم من عمليات في شبكة العين.ومعنى هذا أن الإدراك الحسي هو " فعل" ندرك بمقتضاه الموضوع إدراكاً مباشراً، دون أدنى وساطة ، بل دون حاجة إلى أدنى تفسير.وليس " الجسم" بمثابة نقاب يتوسط بيننا وبين العالم، بل هو أداتنا في الامتزاج بالعالم والالتصاق بالأشياء.وهكذا نجد أن ثمة اتحاداً مباشراً بين الإنسان ـ الذي هو بطبيعته مفتوح للأشياء ـ وبين العالم الذي ندركه عن طريق الجسم إدراكاً حقيقياً تنكشف لنا فيه الأشياء " بدمها ولحمها" إن صح التعبير.ويمضي ميرلوبونتي في شرح " فينومينولوجيا الجسم" فيقول إنه كما أن القول يعبر عن الفكر ،فكذلك الجسم يعبر عن الوجود ـ وإذا كان الوجود بطبيعته "غير متحدد" ، كما سبق القول، فذلك لأنه في صميمه مجرد عملية من شأنها أن تسمح لما لم يكن له معنى ، بأن يكتسب ماهية ومعنى.وليس للفكر " باطن"،لأنه ليس من شأن الفكر أن يوجد بعيداً عن العالم ، أو خارجاً عن الألفاظ ، فالمعنى يسكن اللفظ ، والفكر لابد من أن يتجسم في عبارات(٤٢).

إن إصرار ميرلوبونتي على تجسيد الذاتية البشرية يتضمن شيئاً مهماً عن القصد.فقد تكون الأشياء أيضاً موضوعات حائزة على قصدية ، وهذا يترك إمكانية مفتوحة ، فقد تكون قصدية واعية خاصة تنسب إلى الإنسان والكائنات الأخرى.هذا هو رأي ميرلوبونتي في "الذاتية" و"القصد".فالقصد لا ينتمي إلينا بحكم وعينا وحده، ولكن بحكم وجود الأشياء الأخرى في العالم.ومن ثم فإن التفاعل بين أشكال الوعي والتجسيد والثقافة كأساس لحساب ميرلوبونتي للإنسانية شئ معقد.والعمليات الجسدية تكشف أن المشاريع حول الحاضر أفق مزدوج للماضي والمستقبل(٤٣).

(٣) طبيعة المعية القائمة بين الذات والعالم من خلال فلسفة الغموض وأصل الحقيقة:

أما إذا تساءلنا عن السبب الذي من أجله اهتم ميرلوبونتي بدراسة "ماهية" الإدراك الحسي ،فقد لا نجد صعوبة في أن نتبين أنه يرجع إلى رغبته في تجاوز كل من المذهبين المثالي الواقعي.ومن الخطأ أن نجعل الصدارة للذات على العالم ،كما قد يكون من الخطأ في الوقت نفسه أن نجعل الأولوية للعالم على الذات:إذ النزعة الأولى تقدم لنا عن "الوعي" أو "الشعور" صورة غنية خصبة،ولكنها تضع بين أيدينا"باطنية" لا أثر فيها لـ"خارجية"،في حين أن من شأن النزعة الثانية أن تقدم لنا عن"الوعي" أو "الشعور" صوراً ضعيفة باهتة،ولكنها تضع بين أيدينا "خارجية" لا أثر فيها لـ"باطنية".وأما إذا أردنا أن نفهم حقيقة الإدراك الحسي ،فلابد لنا من أن نتخطى تلك التفرقة الحاسمة بين الذات والعالم.وقد حاول

ميرلوبونتي أن يستفيد من مذهب الجشطالت .وهذا يدعونا إلى إقامة فلسفة واقعية كيفية.فنحن بطبيعتنا موجودون في العالم،ويمكننا أن نقول إن هذا العالم يحمل ثنائية الصورة والمادة.والحق أننا منفتحون على العالم،بفضل معرفة أولية هي في حد ذاتها بمثابة"معية" أو "تواجد" مشترك مع العالم.ومعنى هذا أن العالم قد أعطي لنا، كما أننا نحن أنفسنا قد أعطينا لذواتنا إن صح التعبير.وهنا يقترب ميرلوبونتي من برجسون(٤٤) .

ويرى ميرلوبونتي أننا مرتبطون بالعالم ارتباطاً لاشعورياً غامضاً مبهماً Ambiguous،وهذا الارتباط هو بمثابة مشاركة أولية غير متحددة.وإذا كان كثير من الفلاسفة قد حاولوا أن يستبعدوا من تجربتنا كل غموض وإبهام واختلاط، فإن ميرلوبونتي - على العكس من ذلك تماماً - يقرر أنه لابد لنا من العمل على استكشاف ذلك العالم المجهول الذي لا يخلو من اشتباك ولا تحدد،مؤكداً أن هذا اللاتحدد نفسه لا يكاد ينفصل عن صميم وجودنا البشري(٤٥).وهذا هو الغموض الجيد الذي يتحدث عنه ميرلوبونتي. وينبغي التنويه على أن النظرة الفعلية ترى : أننا في العالم ، وهذا يعني أن نرتسم الأشياء ، حيث يؤكد الفرد ذاته ويفهم ذاته ويفهم الآخرين. وما علينا إلا التعرف على هذه الظواهر التي ترتكز عليها حقائقنا اليقينية. والاعتقاد بروح مطلق أو بعالم في ذاته منفصل عنا ليس سوى عقلنة لهذا الإيمان الأولي.فالزمن معطى للوعي .والوعي هو الذي يكوِّن الزمن ، فهو ينتقل بحرية من الماضي إلى المستقبل . لقد أخطأ برجسون بتفسير وحدة الزمن من خلال تواصله ، لأن هذا يؤدي إلى الخلط بين الماضي والحاضر والمستقبل بحجة أننا نذهب من الواحد إلى الآخر بواسطة انتقالات غير محسوسة ، ويؤدي هذا أخيراً إلى إنكار الزمن. ولكن برجسون كان على حق بأن يتمسك بتواصل الزمن كما يتمسك بظاهرة أساسية(٤٦).

يتحدث ميرلوبونتي عن الإدراك الحسي، فهناك واقع موضوعي وعقيدة (أو إن جاز التعبير إيمان إدراكي).وميرلوبونتي هنا يعيد الخبرة ، الإدراك ، وبالتالي تجربة الحقيقة.فاليقين هو " تجربة الحقيقة".ويثبت ميرلوبونتي أن التجربة يمكن أن تجعل المرء يستطيع القيام بها. فلدينا تصورات خارجية لكائنات خارجة عنا،على أنها بعيدة عنا من حيث التمييز بين المظهر والواقع.فالنفس والعالم (في الإدراك) أو داخل الذات.وعلى هذا فالانفتاح هو سمة عملية الإدراك .ومن ثم يستبعد ميرلوبونتي تحقيق الهوية الذاتية في الوجود،فنحن داخل حركة مكانية وزمانية.ومن ثم علينا إظهار الإدراك المتبادل للهدف والموضوع في حوار ينطوي على القصدية،مع عدم تحديد الإدراك،وغياب الثبات، من أجل إعادة تأسيس بعض الترابط بين الوجود والغياب لفتح إمكانية لما يدعوه ميرلوبونتي" منطقة الذاتية".وهذا يعني تلك المسافة التي هي شرط إمكانية العلاقة مع استحالة الهوية، والاحتفاظ بالخصوصية ،لأن درجات الواقع توجد بداخلنا،وتنعكس خارجياً، وهي ما يصفه ميرلوبونتي بحالة " اللاتحدد"، فالإدراك غير محدد، والعلاقات بينها آثار متبادلة،ونحن الآن في وضع أفضل لفهم حالة الإدراك الحسي وعلاقته بالذاتية(٤٧).

الواقع أننا لو ألقينا نظرة فاحصة على وجودنا نفسه ، لوجدنا أن حياتنا قائمة على الصراع والتعارض والاختلاط .فليس هناك وحدة أو تعادل أو اتزان في صميم وجودنا، بل إن هذا الوجود هو في صميمه صراع حي قوامه اشتباك الأضداد وسط محيط غامض غير متحدد.وبهذا المعنى يمكننا أن نقول إن كل ما فينا عرضي وكل ما فينا ضروري.ونحن لسنا

"وعياً " فقط أو "موضوعاً" فقط ،بل نحن وعي وموضوع معاً ،وكل ما فينا نفس وجسم معاً.وقد نحاول أن نفسر التاريخ تفسيراً عقلياً ، أو تفسيراً اقتصادياً ...إلخ، ولكن الحقيقة أن التاريخ يقبل كل هذه التفسيرات جميعاً! بيد أن خصائص الوجود أيضاً لا تكف عن "التعالي" على ذاته،فالإنسان بطبيعته يتجاوز الإنسان،وبه يستطيع الإنسان أن يخلق مما هو " عرضي" شيئاً " ضرورياً"،كما يستطيع أن يخلق مما هو " اقتصادي" أو " مادي" شيئاً " عقلياً". فلا يمكن أن تكون هناك حدود دقيقة بين الجسم والعالم ،لأننا على حد سواء، إدراك.وكذلك مظاهر مرئية من الجسم "الجسد" في العالم. فالجسم كما هـو متصـور يسمى " الهيئة الموضوعية" ، أعطيها بنية "الرؤية"وكذلك جعلها جزءاً من الجسم ،مرئياً ومحمولاً.فجسمي هو عدد من الأشياء،محتجز في أنسجة العالم وتماسكه .فالجسم يرى ويتحرك ويحمل أشياء في دائرة حوله.إن جسمي مدرك.وفلسفة الجسم تعد كرؤية غير مرئية، ذلك أنها نظام من التكافؤ بين الداخل والخارج.ومع الجسم تكون هناك مجموعة متنوعة من الأساليب من شأنها أن تجد مكان وأرض التنوع الثقافي.إن مشروع القيام بظواهر الجسم من شأنه أن يتم تركيبه في الانفتاح لوصف وحدة الإدراك - ينظر إليها مما يجعل الوعي ممكناً، فالوعي يظهر الأشياء(٤٨).

وليس أدل على انعدام التحدد لدى الموجود البشري من طابع "الغموض" الذي يتسم به جسمه.ومن ثم يهتم ميرلوبونتي بدراسة الجسم،فيدرسه باعتباره موضوعاً ،وباعتباره شيئاً متحيزاً في المكان، وباعتباره جهازاً حركياً،وباعتياره أداة للتعبير أو الكلام ...إلخ.وكل هذه الأشياء تجعل من "الجسم" حاملاً،وأداة ،ووسيطاً ،يتحقق عن طريقه وجودنا في العالم. فليس جسمي مجرد " عادة أولية" أو أساسية هي الشرط لغيرها من العادات ، بل إن جسمي هو بمثابة نظام " تآزري" كل وظائفه مرتبطة بالحركة العامة لوجودي في العالم ، وبالتالي فإنه يعبر عن حضوري أمام العالم، وكوني منفتحاً لوجودي في الواقع.ولا تنحصر وظيفة الجسم في أنه أداتنا في تحويل الأفكار إلى أشياء.فالجسم في صميمه إدراك ، وتعبير ،وحضور أمام العالم وأمام الآخرين.ويلخص ميرلوبونتي كل وظائف الجسم فيقول:" إن الجسم كائن في العالم ، كالقلب في الجهاز العضوي".وليس جسمي مجرد موضوع قائم بذاته، أو مجرد شئ مستقل عني ، بل " إنني عين جسمي". صحيح أن في استطاعة الفسيولوجيا أن تفسر وظائفي العضوية ، كما أن في استطاعة علم التشريح أن يبين لي الأجزاء التي يتركب منها جهازي العضوي،ولكنني لا أعرف جسمي إلا بقدر ما أحياه ،وأختلط به ،وأمزج وجودي بوجوده(٤٩).

إن ذاتي ليست هي اسم لشئ خاص بي بشكل جذري ، وبالتالي فأنا وحدي يمكن أن أجرب مباشرة أفكاري ومشاعري ورغباتي وما إلى ذلك.ولكن يمكن الوصول إليه بطرق أخرى للآخرين.فهم يرونها في أعمالي وإيماءاتي وتعبيرات وجهي، وحتى في " لغة الجسم"(٥٠).فأنا لا أستطيع أن أمنع نفسي من أن أضع الآخر هو وإدراكه "خلف جسده".بل وبالتحديد فإن الشئ الذي يدركه الآخر ينشطر :فيوجد الجزء الذي يدركه ،ويوجد الجزء الذي أراه أنا خارج جسده والذي أسميه الشئ الحقيقي.تماماً كما يسمى هو بالشئ الحقيقي تلك المائدة التي يراها ويعزو إلى الظواهر ، المائدة التي أراها أنا.فالأشياء الحقيقية والأجساد المدركة لم توجد هذه المرة في العلاقة الغامضة التي وجدناها منذ برهة ، والقائمة بين

"أشيائي" وبين " جسدي".فكلها ـ قريبة كانت أو بعيدة ـ متقاربة في كل الأحوال في العالم(٥١).

يوضح ميرلوبونتي مفاهيم أساسية للجسم باعتباره توضيحاً كافياً بذاته لمبدأ الحياة والخبرة.لقد اهتم ميرلوبونتي في المقام الأول بسؤال : ما الحقيقة؟

يرى ميرلوبونتي أن الحقيقة لا توجد لمجرد الاعتقاد في الحقيقة ، فقد تكون خاطئة.إن الحقيقة تستند إلى الخبرة.وإذا كانت الحقيقة خطأ ،فيجب علينا أن نسأل أنفسنا كيف يكون الخطأ ممكناً في الواقع؟إننا هنا بصدد مهمة تضمين الخطأ بين احتمالات الحقيقة في الوجود.فلا يجب النظر للحقيقة على أنها مجرد مذهب للاهتمام المعرفي.فالحقيقة سؤال وجودي.وبالتالي فإن مناقشتها ستكون مناقشة وجودية وليست مجرد مذهب معرفي.ولكن لا يمكن أن يكون هناك أي وعي بالغموض دون بعض الغموض في الوعي،حتى نصل إلى جوهر ما كان يطلق عليه ميرلوبونتي "غموضاً" في إطار فلسفة الغموض لديه.حيث إن إشكالية الغموض المتعلقة بالحقيقة تفلت من ثنائية الصواب والخطأ، التجريبي والفكري،وبدلاً من ذلك تفتح مساحة خارج هذه الثنائيات،لكي تتضح هذه الثنائيات.فالوجود هو الغموض ،وبالتالي هو أيضاً " وعي الغموض". ومن أجل تصور الغموض يجب أن يكون وعينا أكثر من مجرد قوة مفاهيمية نقية، يجب أن تكون غامضة في حد ذاتها.فأن تكون غامضة للوعي يعني أنه يجب أن يعتمد الوجود على الإدراك ، حيث يبقى على علم بهذا الاعتماد عن طريق إظهار الاعتماد على أرض الواقع من الخبرة.حيث يكشف الوعي عن واقع غير واع.باختصار إنه يطرح مسألة الحقيقة(٥٢).

إن إدراك العالم يضم العالم والجسم كأشياء في الوعي.وهذه هي الخبرة الواقعية التي تنشأ من "ظاهرة حقيقية".فلسنا مجرد وعي مطلق ،ولكننا داخل عالم المكان والزمان.وظواهر الإدراك تكشف عن دورنا الجسدي"الوجودي" في إعطاء معنى للعالم الذي نتصوره،وإلى جميع أشكال وعيه.وهذا يضم تناقضات المثالية والتجريبية معاً. ولذا نجد ميرلوبونتي ينقد برجسون في تناوله مفهوم الجسم "كصورة".ولذا يحاول ميرلوبونتي إعادة تأسيس جذور العقل في الجسم وفي العالم في العلاقة الغامضة مع الأشياء المدركة في بنية السلوك،على أساس علم النفس الحديث وعلم نفس وظائف الأعضاء. إذن جوهر الإدراك هو جوهر الوعي ومن ثم جوهر الوجود.إنني أوجه الإحساس كطريقة لوجود عام.وجسمي هو حركة نحو العالم ،وهو إمكانية لهذا العالم.وأنا أفترض الأشياء من خلال جسمي ، أو بالعكس جسمي من خلال الأشياء.والعالم نقطة وعي لجسمي(٥٣).

إن ميرلوبونتي غير راض عن بعض معتقدات هوسرل Edmond Husserl(١٨٥٩ - ١٩٣٨)(*****) ،خاصة التي تتعلق بتمييزه بين وضوح الوعي ،والقول بالعالم المتعالي، والفصل بين النفس وحقائق الخبرة الحسية .فلا يمكن اختزال الظواهر بهذا الشكل وكأنها هي التي تشكل قصدها. ومن هنا يأتي تقرير ميرلوبونتي للطبيعة الجسدية للإدراك،والأساس الحسي للوجود الإنساني.فلا يوجد ركن في حياة الإنسان لا يحمل علامات من واقع وجهة نظرنا الجسدية التي تقع في العالم.إذن لا يمكن أن يكون الإدراك مجرد موضوع متخصص لاهتمام العلوم البيولوجية والاجتماعية ، لأنه يمس جميع جوانب الحالة البشرية ،ومن ثم فالظاهرة عالمية لأنها تتبع نهجاً متعدداً(٥٤).

إن الإدراك عند ميرلوبونتي مشاركة تتطلب العيش في دائرة إدراكية مع الأشياء والأشخاص الآخرين وهذا يعني أن المتجسد عالمي.فهو نظام القوى الحركية لاستكشاف وإدراك معنى العالم كما يعرض نفسه لنا كوعي.فالجسم الحي متعمد " قصدي"وهذه القصدية حركية هي "أنماط في مكان معين.فنحن متحركون ،ونحن واعون.فالوعي بمعنى الحركة، والنزوح في المكان الموضوعي ،فهما وجهان مجردان لوجود واحد،بالاعتماد على أدلة من علم نفس الجشطالت.فالعالم بالنسبة لميرلوبونتي هو العالم الاجتماعي والثقافي الذي تتم فيه استخدام التعبيرات بشكل تبادلي في التعاون والجهود التنافسية لأعضاء المجتمع ،لأنها تشكل كلاً من الشعور بحياتهم وتتناول نسيج المعاني التي وضعها الآخرون في مؤسسة القوانين والعادات والتقاليد والأعراف وما شابه.هذا يجري في الفهم الكافي لمتطلبات العالم الاجتماعي ويفهمه المرء أولاً على أنه نوع من المشاركة،حيث تتحول المشاركة إلى حرية ملموسة وجدلية بين المنتَج والمنتِج(٥٥).

المحور الثالث: شمولية التجربة الإنسانيةعند ميرلوبونتي:

يشتمل هذا المحور على الأفكار التالية:

(١) الحرية عند ميرلوبونتي.
(٢) المرئي واللامرئي عند ميرلوبونتي
(٣) تعقيب عام على فلسفة ميرلوبونتي.

وسأعرض للأفكار على النحو التالي:

(١) الحرية عند ميرلوبونتي:

الحرية ، عند ميرلوبونتي ، هي صميم الوجود الإنساني.وإذا كانت الحرية عند ميرلوبونتي في غير حاجة إلى برهان أو دليل ،فذلك لأن مجرد حضور الذات أمام نفسها ينطوي هو نفسه على الحرية. والواقع أن من شأن الذات دائماً أن تعلو على "معطيات" التجربة،بمجرد تفكيرها في تلك المعطيات.ولو أننا أردنا أن نعرف "الوعي"،لكان في وسعنا أن نقول إن الوعي هو تلك المقدرة على الإفلات من كل قيد أو حد، بمجرد التفكير في هذا القيد أو ذلك الحد.وبعبارة أخرى يمكننا القول إن مجرد وجود الذات الواعية يتضمن أن في استطاعة تلك الذات أن تتصور الواقع على نحو مغاير لما هو عليه بالفعل !فالذات هي في الحقيقة "إمكانية" تصور "المعطيات" الخارجية بشكل مغاير لما هي عليه في الواقع.وهذه الإمكانية تفترض إمكانية أخرى أعم هي قدرة الذات على أن تعلو ـ بالفكر ـ على كل قيود قد تتصور نفسها أسيرة لها(٥٦).

فحينما أتصور نفسي أسيراً لشهواتي ،يجئ هذا الشعور نفسه فيحررني ـ جزئياً على الأقل ـ من تللك الشهوات. وحينما أفكر في اللذة التي أستشعرها عندما أتذوق طعاماً من الأطعمة،فإن من شأن هذا التفكير نفسه أن يجعلني أتجاوز مرحلة الشراهة.ولا غرو، فإن تفكيري ذاته ليس هو اللذة ولا هو الطعام.وتبعاً لذلك فإن "الوعي" أو " الشعور" ـ فيما يقول ميرلوبونتي ـ هو بطبيعته انفصال، ومفارقة، وحرية لأنه ينطوي في صميمه على حركة مستمرة تنفصل فيها الذات عن الواقع ،بفعل تلك الحرية التي هي في جوهرها قدرة مباشرة على التحرر من شتى الحدود والقيود. الحرية عند ميرلوبونتي هي أن حريتي كفرد في أن أقف نفسي في التزامي العام تجاه العالمية التي تعني مشاركة الآخرين.حيث قدرتي على الحرية كفرد منغمس في الانخراط في العالم(٥٧).

ويمضي ميرلوبونتي إلى حد أبعد من ذلك فيقول إنني حر،لأنه ليس ثمة علة خارجية تؤثر علي.ولو كان في وسع أي شئ أن يحدد أفعالي أو أن يعين سلوكي من الخارج، لكنت مجرد موضوع أو شئ.صحيح أن للبواعث وجودها، ولكن الباعث ليس هو الذي يصبغ تصميمي بصبغته،وإنما العكس هو الصحيح ، أعني أن تصميمي نفسه هو الذي يخلع على الباعث كل قوته.ومن هنا فإن ميرلوبونتي يرفض فكرة العلية،ويأبى أن يفسر السلوك بمجموعة من البواعث.حقاً إن الجسم قد يبدو مجبراً من حيث هو خاضع لعلية فيزيائية تتحكم في ردود أفعاله،ولكن سلوكنا لا يتوقف بشكل جوهري على طائفة محددة من القوانين العلية الصارمة، وبالتالي فإنه لابد لنا من رفض فكرة السببية عن طريق البواعث.فليست هناك حرية إلا إذا كان

هناك شئ تنبثق منه.كما أن فكرة الحرية تتضمن فكرة "الالتزام" : لأن التصميم الذي تحققه في الحاضر لابد من أن يندرج في المستقبل ،محققاً في الوقت نفسه شيئاً يظل محفوظاً، فإذا ما جاءت اللحظة التالية أفادت مما سبقها من لحظات:لأن هذه تجتذب تلك ، دون أن تكون ملزمة لها(٥٨).

ومعنى هذا أنه لا ينبغي أن تكون كل لحظة (على حدة) عالماً مغلقاً في ذاته، بل ينبغي أن تكون اللحظة الواحدة مقيدة لغيرها من اللحظات،بحيث يتولد عن التصميم المتخذ أو الفعل المشروع ،شئ فريد يكون بمثابة اتجاه نتخذه ونعمل على مواصلة جهودنا على هديه. وتبعاً لذلك فإن الحرية لا توجد إلا في مواقف ، ومن ثم فهي لا تهدم موقفنا الأصلي من العالم ، بل هي تندمج فيه وتتداخل معه ، بحيث يظل المرء منفتحاً على العالم .صحيح أن حريتنا عبارة عن اختيارنابأسره ،ولأسلوبنا في التصرف بإزاء العالم، ولكن هذا الختيار يفترض دائماً شيئاً محصلاً سابقاً عليه،يكون على الحرية أن تعمل على التصرف فيه والتعديل منه.فالحرية الواقعية الفعالة إنما هي تلك التي تنحصر في تحقيق نوع من المبادلة والمشاركة بيننا وبين العالم(٥٩).

إن الحرية تتعدى كل الأعمال ، إنها في كل مكان .وهي أيضاً ليست في أي مكان.فهي العطاء الذي أجري لنا لكي لا نملك أي عطاء ، إنها طبيعة الوعي التي تقضي بأننا لا نملك طبيعة. إن مفهوم الحرية يتطلب أن يغوص قرارنا في المستقبل، وأن يجري عمل شئ ما من قِبَلِها، وأن تتمتع اللحظة التالية بالسابقة، وإذا كانت الحرية تقوم على العمل ، يجب على ما تعمله ألا يجري تخريبه من قِبَل حرية جديدة. يجب ألا تكون كل لحظة عالماً مغلقاً، وأن تستطيع كل لحظة إلزام اللحظات التالية. ويجب أن أملك أمراً واقعاً ويجب علي أن أبدأ العمل وأن أتابع ،وهذا يتطلب قدرة الخلق والإبداع، ويفترض مفهوماً واقعياً للحظة(واللحظة هي النقطة التي يكتمل فيها المشروع ويبدأ الآخر). والمشروع الذي يحول نظري من هدف لآخر.واللحظة تفترض باستمرار قدرة على البدء ، وقدرة على التوقف، وفقاً لقرار معين يؤكدها ، أو يحولها. والاختيار يستلزم أو يفترض التزاماً مسبقاً.إن الحرية هي إذن التي تبرر العوائق للحرية . فحريتي هي التي تشترط بنية الهنا والهناك.فهي حاضرة في كل مكان تتحقق فيه هذه البنيات.فالوعي يعتبر نفسه مسؤولاً عن كل شئ ، وهو يضطلع بكل شئ، وهذا يقودنا إلى تصور الحرية وكأنها خيار يتجدد باستمرار(٦٠).

ورغم ذلك فالحرية الإنسانية ليست مطلقة ، والأهم من ذلك أنها حرية مجاهدة.ونحن نعلم أن الإنسان يوجد دائماً في " موقف " اجتماعي معين.وصفوة القول إن الحرية التي ينادي بها ميرلوبونتي لا تحقق اختيارها ابتداءً من لاشئ.بل هي تندمج في موقف أصلي تتقبله وتتداخل معه،فهي لا تمارس نشاطها إلا ابتداءً من ذلك الموقف. وإذن فإن الحرية لا تظل دائماً بمفردها، بل هي تستند إلى العالم وتنبثق منه. ومعنى هذا أن الحرية لا تعرف الانفصال المطلق، بل هي تتحدد باندماجها في الأشياء. فالحرية ـ عند ميرلوبونتي ـ تلاقٍ،وانتقال، وتبادل بين الخارج والداخل، أو هي بالأحرى جوار متصل ، وتواصل مستمر مع الأشياء ومع الآخرين. نعم إن العالم مكون من ذي قبل ،ولكن تكوينه ليس من الكمال بحيث يمتنع كل فعل. ولئن كنا نحن من جهتنا محددين بمنشئنا وأصل وجودنا ، إلا أن أمامنا أفقاً مفتوحاً تتمثل فيه لا نهائية الإمكانيات. وهكذا نرى أنه ليس ثمة جبرية مطلقة من جهة ، ولكن ليس ثمة اختيار مطلق من

جهة أخرى: لأن الإنسان لا يمكن أن يكون شيئاً ، ولكن لا يمكن أيضاً أن يكون وعياً خالصاً(٦١).

(٢) المرئي واللامرئي عند ميرلوبونتي:

نتساءل هنا: ماذا يعني المرئي واللامرئي؟وما علاقته بالعين والعقل عند ميرلوبونتي؟

إننا إذا نظرنا إلى مشكلة "وجود الآخرين" على ضوء نظرية ميرلوبونتي في " الجسم"، فإننا سنجد أن الاتصال بين الذوات مكفول بحكم تلك العلاقة الأولية التي تربطنا بعالم مشترك. وليس من شأن وجودية ميرلوبونتي أن تعيد إلينا " حضورنا أمام العالم" فحسب، بل هي تعيد إلينا " حضورنا أمام الآخرين"، حيث إن موقف الآخر مني لا يحيلني إلى مجرد " موضوع" في مجال بصره ، كما أن موقف الآخر مني لا يحيله إلى مجرد " موضوع" في مجال بصري.والواقع أن "جسمي" ليس مجرد "موضوع" بالنسبة إلي، فكذلك جسم "الآخر" بالنسبة إلي ليس مجرد "شئ" أو"موضوع".وآية ذلك أنني أشعر بأن للآخر " جسماً" خاصاً مماثلاً في تكوينه لجسمي، وقد أهيب بالآخر أن يجئ فيساعدني على القيام بعمل مشترك"كأن نزحزح معاً ـ مثلاً ـ حملاً ثقيلاً أو سيارة متعطلة، وفي هذه الحالة يكون جسم "الآخر" قد انضاف إلى جسمي،فكونا معاً كلاً واحداً. وهذه "المشاركة" قد تبدو بصورة أوضح في "الحديث" العادي: فإن مجرد "حديثي" مع "الآخرين" هو بمثابة اتصال حقيقي يتم بيننا عن طريقه ضرب من المشاركة الفعلية(٦٢).

إن العين هي بالفعل أكثر بكثير من مستقبلات للأضواء والألوان والخطوط . فالعين تجعلنا ندرك أنفسنا بنوع من عدم الفصل بين "الموضوع" و"الكائن" في تجربة الإدراك.إذ لا يمكن عزلهما أو النظر لهما بشكل مستقل.فالذاتية هي الموضوعية.والوجود يجري في العالم من خلال "الجسم".وتجربتي الجسدية هي وعيي الخاص بالفعل.والعالم المشترك يقوم على حقيقة أن كلاً من "الأنا" و"الآخر" تمثل فلسفة الجسم كرؤية غير المرئي،يحمل ذلك مخطط الجسم الحي، لأنني أرى نفسي ،يمكن أن تشارك جميع هيئات الوجود الأخرى(٦٣).

والحق أن " الحوار" هو بطبيعته عملية ثنائية تلتقي فيها الذات مع "الآخر" فتتقابل أفكارهما في" وسط مشترك" ويتألف من حديثهما "وجود مشترك"،أو صورة من صور "المعية". وليس تبادل الحديث مجرد " صراع" بين أفكار ، وإنما هو في البداية تداخل وتفاهم ومشاركة.فما يكاد " الآخر" يهم بالحديث إلي ، أو ما يكاد أحدنا يشرع في القيام بعمل مشترك مع الآخر ، حتى ينشأ بيننا ضرب من " الاتصال" والمشاركة.والحق أن المشاركة لا تنعدم إلا حينما تظل كل ذات محتجبة وراء فرديتها الخاصة.بيد أن القول بأن الوجود مرادف للمعية أو المشاركة ،بوجه من الوجوه، لا يعني أننا ننفذ بعضنا في صميم البعض، ولا يستلزم ـ بالتالي ـ إنكار ما في الحياة الإنسانية من " أصالة" تجعل لكل فرد منا سره الخاص الذي قلما ينفذ إليه الآخرون. وهكذا وهكذا نرى أن ميرلوبونتي يعلق أهمية كبرى على تلك "المعية" الوجودية التي تتحقق بين الذوات، حينما تتم عملية المواجهة بين الحريات ، أو حينما تشعر كل ذات بأن عليها أن تفصل وجودها ، لا في أغوار وجود باطني عميق ، أو في قرارة ذات دفينة سحيقة ، بل في سياق " تاريخ" إنساني ذي علاقات معقدة متشابكة(٦٤).

يجب أن تحدث الرؤية بطريقة ما ، بحيث يجب تكرار رؤية الظاهرة من خلال رؤية "الطبيعة من الداخل"، حيث الجودة واللون والضوء والعمق.فهي توقظ صدى في أجسامنا ، والجسم يرحب بها،ثم يأتي دور الشكل الخارجي المرئي للوحة الفنية مثلاً.فاللوحة تعبير عن ازدواجية الشعور " الداخل والخارج".وبدون هذه الازدواجية لن نفهم الوجود أبداً.لأن وضوح الرؤية يشكل مشكلة كاملة من الخيال الذي يمثل الأشياء الخفية " الغائبة ـ غير المرئية".كل هذا يمثله مخطط جسمي يشمل الحياة الفعلية.وكما أن العين ترى اللوحة والصور العقلية ، فهي أكثر بكثير من مستقبلات الأشعة والألوان.فهناك قيم رمزية يدخل فيها العقل مع العين في اللوحة الفنية.وعل هذا فرؤية الفنان ولادة مستمرة لعالم من الرؤية الإبداعية للتعبير والإيماءات والضوء واللون ..إلخ ، مما يعرض شكلاً عالمياً لإدراكنا(٦٥).

ربما كانت طرافة هذه الوجودية الأصيلة التي قدمها لنا صاحب كتاب "فينومينولوجيا الإدراك الحسي" أنها وجودية كونية تنبع من العالم، ولا تتخذ لنفسها مسلك التهرب الإرادي من هذا العالم ،ولكنها في الوقت نفسه وجودية ملتبسة لا تحيا إلا على الغموض، والالتباس، والازدواج ، والتناقض، والاستقطاب ، والتوتر المستمر!. وليس من شك في أن اهتمام ميرلوبونتي بالإدراك الحسي هو الذي جعله يستمسك بواقعة" الوجود في العالم "، وهو الذي حدا به إلى اعتبار المعطيات المباشرة للإدراك الحسي واقعة حقيقية سابقة على كل تنظيم عقلي(أو تركيب ذهني).ولكن نظريات ميرلوبونتي في علم النفس قد ظلت متأرجحة بين فينومينولوجيا عينية محضة من جهة ، وجهد فلسفي أريد به وضع مذهب أنطولوجي حقيقي من جهة أخرى. ولعل هذا ما حدا ببعض النقاد إلى أن يأخذوا على ميرلوبونتي تذبذبه المستمر بين النزعة التجريبية العينية من جهة ، وبين النزعة التركيبية التأليفية من جهة أخرى، أو بين الأخذ بمعطيات الشعور المباشرة من جهة،والقيام بمحاولة جدلية (ديالكتيكية) من أجل حل المتناقضات من جهة أخرى. ويمكننا القول إن الإدراك الحسي ، والسلوك الذي يصطنعه المرء في العالم، إنما هما عمليتان من عمليات الاستكشاف المستمر.وبالمثل، يمكننا القول إن الوجود الإنساني نفسه لا يخرج عن كونه عملية استكشاف للذات. فهناك آراء لميرلوبونتي في التاريخ ، والمجتمع ، والسياسة ، والفن، وما إلى ذلك(٦٦).

نحن نهدف إلى تقديم مفهوم ميرلوبونتي للجسم .ففي عمله " المرئي واللامرئي"أراد التغلب على القيود التي طرحها في كتابه فينومينولوجيا الإدراك فيما يتعلق بتوضيح علاقتنا بالعالم وببعضنا البعض.ولكنه ترك هذه الفكرة في حالة غير كاملة بسبب موته المفاجئ.ولذا فقد حفز جهود التوضيح لهذه الفكرة.حيث يشارك الجسم في محيطه من أجل إدراك العالم.وهذا يوضح لنا العلاقة بين اللغة والتصور .فالصمت ليس صمتاً أوعالماً بلا معنى ،بل جوهر المعنى الذي يتخذ شكل التسمية والتعبير.هذا الجوهر هو وجود الأشياء في أجسادنا وفي الحياة.فأساس حياتي بنية عامة يكون فيها جسمي متعايشاً مع العالم ، حيث توفر الظواهر الوجودية مكاناً للحرية والجدة عالمياً.والسمة المميزة للفلسفة هي التوازن بين الوحدة والتعددية ، الهوية والاختلاف ، الاستقرار والجدة ،وهذا ينعكس بالتالي على أساس التوازن بين الوضوح والثراء الذي يجده مستوى الإدراك.كل هذا من موضوعات الجسم.حيث لا يمكننا فهم الشئ والعالم بشكل مستقل،بل ينبغي دمج تجربتي مع العالم،لتحقيق التوازن الأمثل.وبذا نصل لمصدر العقلانية الجوهري للعالم والتاريخ،والعقلانية تعني دمج التصور بالواقع

المعيش.حيث ينشأ الشعور بإدراك العالم .أي أن العالم والعقلانية متطابقان.وهذا المعنى ينكشف حيث تتقاطع مسارات تجربتي المختلفة.فكل موضوع يدركه الجسم هو منظور مختلف للعالم،والذي يحمل الوحدة التاريخية والاجتماعية والسياسية دون إبطال التنوع،ودون إقرار عوالم منفصلة للعقل والجسم(٦٧).

فهناك توازن بين الموضوعات والأشياء .فحركة الإدراك والتاريخ يعكس في نهاية المطاف الوحدة بين التعددية والهوية والاختلاف والاستقرار.وكيفية تحقق العقلانية يخلق أفقاً جديداً ويضمن الانفتاح.ويكشف الحرية الإنسانية والتي مهمتها اسئناف العقلانية.ولكن لم يتم تحديدها بالكامل.وهذا هو أساس الظواهر.والجسم هو الذي يحمل هذه الأشياء.ومن ثم فإن العالم يخضع لظواهر الإدراك.ولذلك لدينا في مفهوم الجسد ما هو مرئي وغير مرئي، بنوع من المشاركة.فـ" اللحم" أو " الجسم" صفته الإدراك،إدراك العالم الذاتي والموضوعي.ومن هنا يؤكد ميرلوبونتي إحساساً أقوى بالوحدة،حيث يحتفظ بفكرة الجشطالت.فالعالم انعكاس للجسم. يقول ميرلوبونتي "إن مهمة الظواهر هي كشف سر العالم وسر العقل.وهذه الظواهر غير قابلة للتجزئة"(٦٨).

وفي الواقع، فإن المرئي واللامرئي ، من بدايته لنهايته ، هو محاولة للإبقاء على التساؤل مفتوحاً.واكتشاف متواصل لحياتنا المدركة والمكرسة للمعرفة، مع الحرص على إدراك وجود الأشياء والآخرين.لقد أدرك ميرلوبونتي أنه حينما نتوجه نحو الموجود إنما يقدم لنا مفردات خاصة تساعدنا على فهمه وفهم خصائصه الأساسية ،وفي الوقت نفسه يسعى في أن يوضح شمولية الوجود.ويقدم لنا وصفاً للإنسان كما لو أن الوجود بواسطته يظهر ويتكون أمامنا في حقيقته.وذلك يستحيل بدون فهم مسبق للوجود.فالوجود هو القوة القادرة.إنه الحضور والغياب على حد سواء.كما أن الوجود صفة مكونة للإنسان من المستحيل عليه التهرب من تلك العلاقة.فنحن نمتلك إدراكاً للوجود طالما أنه يصف الموجود.حيث يتضح الموجود في المعرفة ، ولا تمتلكه المعرفة على أنه كان موجوداً وظهر، وإنما كونه ينبثق كما في ذاته في المعرفة. ويصبح الموجود في تلك اللحظة الموجود ـ الظاهرة، ويقدم نفسه موضوعاً للمعرفة.فالسؤال "ما العالم؟أو ما الوجود؟" لا يمكن أن يصبح فلسفياً إلا إذا كان يستهدف حالة الأشياء ويستهدف نفسه.كما يستهدف "معنى الوجود" و"وجود المعنى"،وكأن المعنى في داخل الوجود.تلك هي خاصية التساؤل الفلسفي في أن يعود إلى نفسه وفي أن يتساءل ماذا يعني السؤال وماذا يعني الجواب(٦٩).

لقد جابه ميرلوبونتي في " المرئي واللامرئي" جميع التساؤلات التي يثيرها الوجود والعدم ،والإنسان والفكر واللغة والحياة والموت، مقدماً إياها في شكل جديد ، بل في طريقة تجعلنا نقف منها موقفاً جديداً لا يحطم معتقداتنا ومفاهيمنا التقليدية ، بل إنه يقدم لنا أساساً جديداً ومنطلقاً جديداً لمواجهتها ودراستها وإدراكها.إنه يشير إليها بنوع من الواقعية المتغيرة للظاهرة.وعليه فإن مبدأ قدرة الموجود على تقديم نفسه يجب أن يتم في أفق يتموضع فيه ويتداخل في ميدان الانفتاح على الوجود.وإذا ما قدم ذلك الأفق صفة للموجود فإن على الموجود أن يمتلك أولاً ذلك الأفق .. وتتطلب تلك الصفة بدورها أن يعمل الأفق على توضيح " المرئي" وذلك بالسماح باتحاد وتكوين بعض المظاهر التي تكون لنا "رؤى" تحدد وجود

الموجود.وذلك لأن التكوين لا يتكامل إلا في تكوين أفق تتولد فيه إمكانية المرئي مما يسمح للموجود أن يكون موضوعاً للحدس(٧٠).

وهنا يبرز التساؤل ألا نمتلك رؤية ما تسبق موضوع الحدس؟الإجابة واضحة: الزمن الذي هو موضوع الحدس سابق لكل خبرة.إنه تتابع للآنيات .إنه النظام المرئي الذي يشرح كل إشكاليات الوجود .لقد طرح ميرلوبونتي جميع المسلمات السابقة بعد أن ناقشها ،وبعد أن ناقش وجهات نظر الفلاسفة السابقين حول جميع الأسئلة الفلسفية.وبدأ أطروحته الفلسفية على خلاف ديكارت ، محاولاً التدليل على أن العقل هو الجانب الآخر للجسد. فالعقل يتصدى لشرح المرئي ، ويقصد به الإدراك الذي يتحقق داخل الإنسان،كما أن ما هو مرئي من العالم ليس في نظره غلافاً للتساؤل.أما اللامرئي فهو قوة المرئي لدرجة أني يبين الصوت والمعنى،كما أن الحياة النفسية في نظره هي شئ لامرئي يوجد في مكان ما خلف الأجساد الحية.بل إنه يعتقد أن ما يحسه الإنسان بداخله هو اللامرئي، أي ما ليس مرئياً الآن ولكن الذي يمكن أن يكونه.أي أشياء مختبئة تقع في مكان آخر هنا وهناك(٧١).

فإذا تساءل الفيلسوف،وتظاهر بالتالي بأنه يجهل العالم ورؤية العالم اللذين يعملان ويتفاعلان دوماً في داخله فلأنه يريد منهما بالتحديد أن يتكلما.هذه هي الطريقة الوحيدة للتوافق مع رؤيتنا للحقيقة ،وفي التناقضات التي تتكون منها تلك الرؤية ،وفي توافقها مع الشئ والعالم ،تلك الألغاز المتصورة والتي تتكاثر منها كل الحقيقة والوجود .مثال على ذلك يضربه ميرلوبونتي: إنني بقدر ما أنا متأكد من أنني أرى مائدتي وأن رؤيتي تتوقف عندها وأنها تركز وتوقف نظراتي إليها في حدودها التي لا يمكن تخطيها،وبقدر ما أنا ، الذي يجلس أمام مائدتي أفكر في جسر الكونكورد فإنني لست حينذاك داخل أفكاري وإنما أنا هناك عند جسر الكونكورد.وأخيراً وبقدر ما أنه في أفق كل تلك الرؤى أو ما شابه الرؤى يوجد العالم الذي أسكنه.العالم الطبيعي والتأريخي مع كل الآثار الإنسانية التي يتكون منها ، بقدر ما يسقط ذلك اليقين في نفس تلك اللحظة التي أنتبه إليه فيها ،بواقع أن الأمر يتعلق هنا برؤية تخصني.إنه يجب علينا أن تكون لدينا خبرات هذه الحقيقة حتى يمكننا أن نتكلم عن الخطأ.وإننا لن نعرف حتى ما الخطأ إن لم نستطع تمييزه عن الحقيقة(٧٢).

فاللوحة الفنية مثلاً لا يمكن أن تكون ببساطة مجرد ظاهرة بين الأشياء المرئية، وليست مجرد عمل يدوي ،وليست صورة خالصة .إنها مشاركة لثروة لا تنضب من المرئي واللامرئي، حيث اللامرئي هنا يضم ما نسمعه ونتخيله.فالصورة"غياب " كما أنها" وجود"، فلا توجد رؤية بدون تفكير ، لا يكفي التفكير في الأمر لنرى. وعلى هذا يحتاج إدراك اللوحة الفنية (المرئية) لحدس برجسون،ذلك الحدس الذي يربطنا بشفافية مع (المرئي) عن طريق العين.وهذا لا يعني نشاطنا الجسمي فقط، حيث يبدو أن هناك المزيد من الروابط تكمن في الوعي وتجسيده ،والذي ينشأ عنه العالم.ولذا فقد حاول ميرلوبونتي إدراك الظواهر مستنداً إلى (خريطة) الجسم إن جاز التعبير ،فالجسم كخريطة يرتسم فوقها ذلك المخطط الذي من شأنه إيجاد روابط الوعي.ونشاط الوعي هو (السلبي) وليس فقط الإيجابي ، أي الذي يضم اللامرئي(مما نسمعه ونتخيله) ، وليس فقط المرئي.هذا هو الغموض لدى الفنان والذي يمنع من الوصول إلى الأشياء نفسها في بساطتها ، مثل مفهوم "الاعتقاد الإدراكي".وبالتالي فإن سر الرسام ربما يكون معروفاً بشكل أفضل وأشمل مما يبدو ظاهراً.وقد تكون الموسيقى

الداخلية السحيقة للوحة تثبت فلسفة مفعمة بالحياة ،تضم العين والعقل ،بما يتضمناه من المرئي واللامرئي(٧٣).

فالرسم ـ بناء على هذه الرؤية ـ غير مفهوم ببساطة.إنه يحتاج لمغامرة التعبير بشكل عام عن اللوحة ، ولمسة الفرشاة.كما أن سر اللوحة يكمن في ذلك " الخيال" اللامرئي.فيأتي التعبير عن تلك اللوحة إما عن طريق "الفلسفة المثالية" حيث التفكير النظري الذي يعتمد على: الوعي، الجسد، اللغة ،الرؤية ،الخيال، الفردية ، تجربة الآخرين... إلخ مع العلم أنه ليس لدينا الخبرة اليقينية التي نملكها عن فكرة "الحقيقة" والقدرة على التعبير والتمييز. ومن ثم يجب أن ننتقل من الشئ (المكاني والزماني) كهوية إلى (المكاني والزماني) كاختلاف(٧٤).

إن وظيفة الفن الرئيسة هي تمثيل دقيق ممكن للعالم ،يمكن أن ينظر إليه في أي مكان.الحقيقةهي هذه النظرة الواقعية في التمثيل الدقيق للواقع الموجود مسبقاً.فالفن في رأي ميرلوبونتي هو فعل جلب الحقيقة إلى الوجود.فالفنان لا يعكس مجرد حقيقته بشكل مستقل عن الإدراك البشري.وبدلاً من ذلك فهو يخلق عالماً يتوافق مع مفهوم خلق الإنسان لتلبية احتياجات العلوم والحياة الاجتماعية،بالإضافة إلى المفاهيم الأساسية والمسبقة للعالم من حولنا.فالفن الحديث يعود إلى "الإدراك" بمعنى أكثر أساسية ، والذي فيه يتم تعريفه بأنـــه "الوصول إلى الحقيقة".فالفن واقعي في اتصالنا مع العالم ،بدلاً من التفكير فيه.بمعنى أنه: يحاول ان يكشف عن المفاهيم التي تحاول أن تخدم أعمالنا المختلفة للمقاصد المختلفة.وبهذا المعنى تقودنا اللوحة الفنية إلى " رؤية الأشياء" نفسها. فالفنان الحديث يبني عالماً ، لكنه يسعى للقيام بذلك بطريقة وفية للظواهر ، بمعنى الأشياء كما نتصورها في الواقع.وتخرج من معناها ما هو أكثر تطوراً عن طريق البقاء مخلصين للظواهر.إن عالم الفنان عالم ذو خبرة، أو بالأحرى يكشف عن عالم "يجسد" المعاني.فالموضوع له وجوه متشابكة للغة والعقلانية وهو بهذه الطريقة ضروري للعيش في مجتمع والتواصل مع بعضها البعض(٧٥).

ومن ثم فالأعمال الفنية هي امتداد للجسد والشعور والأشخاص.فهي تظهر الحالة البشرية في كثير من الطرق التي تعمل بها أجسامنا: من خلال إيماءة ،أسلوب، فهم، حساسية، كوسيلة للتواجد في العالم.فالغموض هنا هو هذا الشمول الذي يتجاوز الحركات الموضوعية للجسم ،من أجل تمييز شخصية الفرد المشاركة في العالم .والغموض يشمل في تجربة الفرد الصوت والكلام واللغة ، كما يشمل الصمت.فالإحساس والإدراك كتلة واحدة مشتبكة في الجسد(٧٦).

فقد ولدت اللغة الحالية والمعايير القائمة بالفعل من العقلانية، تماماً كما نولد نحن في مجتمع وثقافة قائمين في الواقع.يتم تشكيل ثقافته في جزء كبير من لغته والمعايير المشتركة للعقلانية.لكن اللغة شئ يستخدمه الناس للتعبير عن المعنى،وتظهر معنى العقلانية في المناقشة بين الناس : في هذا المعنى ، كل من اللغة والعقلانية متجذرة في نهاية المطاف في تجربة شخصية.ويمكن للغة استخدام العقل بطريقة إبداعية ، من أجل نقل معنى جديد،وراء القواعد التقليدية.وهذا سوف يعبر عن طريقة جديدة للنظر إلى العالم ، وبالتالي عند النظر للـ (الفنون البصرية) في لوحة ما ،فإننا نحللها تحليلاً عقلانياً، من حيث المعايير العقلانية الحالية.فهناك دور أساسي للفنون عند ميرلوبونتي ألا وهو توسيع مفهوم العقلانية في المجتمع التقليدي لقيادة الناس للنظر إلى العالم من جديد(٧٧).

ومن المفارقات أننا نحتفل بدور الجسم في التعبير عند ميرلوبونتي والذي عادة ما يميزه "الصمت".فالجسم هو الكوجيتو الصامت ،من حيث إن " الذات الأولية" هي الوعي الصامت، الوعي الذي من شرطه اللغة.والوعي الصامت له دوره في فهم العالم ، وفي تشكيل خلفية الصمت الضرورية للغة تظهر الجسد"كإيماءة" أو " لغة ضمنية" .فالجسم هوأرض كل تعبير.والجسم واعٍ،يجد الأحاسيس، والحركة والمشاعر، ومنه يخرج الصمت لغة إدراكية للعالم. وعلى الرغم من تأثر ميرلوبونتي ببرجسون في الحدس واللغة،ولكن لا يمكن قراءة فلسفة ميرلوبونتي على أنها "الحدس".خلاصة الأمر إن الطبيعة تشمل العقل المرئي والعقل غير المرئي.وليس هناك إحساس ولا لغة إلا من حيث كونهما أفعال على سطح الجسد (تللك الخريطة أو المخطط أو السطح) الذي يضم أفعالنا المرئية واللامرئية(٧٨).

(٣) تعقيب عام على فلسفة ميرلوبونتي:

إن واقع الحقيقة لا وجود له في المفاهيم،وبالتالي فإن وعينا الشديد ينطوي على خبرتنا في ذلك.فغموض وجودنا يكمن في غموض مسألة الحقيقة. والحقيقة عند ميرلوبونتي ترتبط بالمتعالي.ومن ثم فهو يرفض الحديث عن الشئ في ذاته، في إطار من الموضوعية .ويرى أن الحقيقة هي إعادة النظر في الأشياء وفي العالم.وفي هذا يتشابه ميرلوبونتي مع هوسرل في الاعتقاد بأن طريقة الاقتراب من العالم خاطئة،بل إنها تشويه للواقع وللخبرة بقدر ما تقدم نفسها في إطار من الموضوعية.ومن هنا يتساءل ميرلوبونتي عن " أصل الحقيقة".ويرى أننا لا نتوقف عن العيش في عالم الإدراك، لكننا نذهب إلى أبعد من ذلك عن طريق التفكير النقدي.

إن الوجود ظاهرة غير قابلة للاختزال عند ميرلوبونتي ، حيث يتم إنشاء الـ " القصد" من أجل تجاوز الحدود النفسية والطبيعية ، لكي نبتكر نفسية جديدة وطبيعة جديدة.حيث يحاول ميرلوبونتي أن يستعيد النفسية التي تجمع الوعي، حيث يقصد ميرلوبونتي تعلم التعبير عن التأسيس الذاتي للعالم. فما يطرحه ميرلوبونتي هو الواقع،حيث يمنح الأولوية الوجودية للوجود،باعتباره جوهر الكائنات،وفي الوقت نفسه لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال الكائنات. ومن هنا تنفتح لنا بصيرة جديدة عن الغموض ، ألا وهي الأرضية المشتركة بين الوجود والكائنات، هذه الأرضية هي نقطة اللقاء بين المفكرين.ومن ثم فإن أنطولوجيا ميرلوبونتي تحدد موقعها الذي يتوسط الميتافيزيقا وعلم الوجود.

ويجب التأكيد على أن ميرلوبونتي يعتبر مشروعه بمثابة تجديد للميتافيزيقا التقليدية من أجل الاهتمام الواضح بمسألة الحقيقة.حيث يجب ان نعرف خطأ التجربة الميتافيزيقية التقليدية للحقيقة ، ونعرف أيضاً طريقة معالجة ميرلوبونتي للحقيقة والتي تبرز موقفه الأساسي تجاه المشروع التقليدي للبحث عن الحقيقة.ففي عهده وصلت الفلسفة إلى نقطة حرجة حيث يوجد تناقض بين هذه الروح (تجربة الحقيقة المتعلقة بالإدراك الحسي) والتي تضم أساليب الفكر والتجربة،وهذا ليس معناه انفصالهما ولكن معناه وجودهما معاً دون هوية، لأن الواقع يضم التجربة والفكر معاً،فأنا أكسر الرابطة بين رؤيتي والعالم ،حيث يتم وضع الإدراك بين الجسم والموضوع. هذا هو طريقنا في شرح حركة الانتقال من الإدراك إلى " الحقيقة".حيث يحافظ ميرلوبونتي على التمييز بين الإدراك والمعرفة.

يتحدث ميرلوبونتي عن " الإيمان الإدراكي" أو " العقيدة الإدراكية" .فكل من تصوراتنا هو عمل من الإيمان الإدراكي لأنه يؤكد ما نعلمه بدقة.يساعدنا في هذا الإدراك التحليل النفسي الذي يجعل الحرية ملموسة ،مبدعة وليست فقط مجرد تصور. ويرى ميرلوبونتي أن الحقيقة تنتمي إلى عالم الثقافة والتاريخ.هذه هي العلاقة بين الحقيقة والثقافة التي من خلالها يتم تطوير عالم الإدراك،وكيف أن تاريخ الحقيقة يرقى إلى حقيقة التاريخ.حيث يتحدث ميرلوبونتي عن إعادة تأسيس التاريخ في ديناميته،مع الاحتفاظ الزمني الذي يسمح بالتداخل بين الأحداث، من خلال هيكل الإدراك،إنها الديناميكية المتعلقة بالعالم ،والإدراك يثير الحراك الجدلي للتاريخ،وذلك لأنه يقدم مبدأ " عدم التحديد" في العالم،حيث يضمن الإدراك أنه سيتم احتواء جميع الأحداث.والوسط المتجانس لعدم التحديد هو العنصر الحيوي للوعي ، وعلاوة على ذلك التاريخ نفسه. فالإدراك الموضوعي يتعلق بعموم جميع التجارب ، لكي نستنتج الحقيقة (العالمية) للإدرك. فالإدراك يشبع الوعي من حيث المعارضة " والتناقض" بين الذات الداخلية والذات الخارجية (التي تضم العلاقة بين الذات والعالم). وهو اعتماد متبادل بين الموضوعية والذاتية. والإدراك دائماً هو الحركة والنشاط .

إن عالم الإدراك مازال مخفياً عنا ،طالما نحن نرى الأشياء من خلال احتياجاتنا العملية والاجتماعية.ووظيفة الظواهر هي أن نلقي نظرة على الأشياء مباشرة .وهذه النظرة عند ميرلوبونتي بالتحديد هي الفن الحديث والأدب والموسيقى وما إلى ذلك.وهنا يغدو الأدب فلسفة فنية تربط بين الفن والفلسفة عن طريق اللغة التي تجسد هذا في الفنون البصرية.فالوجود مختلط مع الغياب ، مع ما يتجاوز المعطى لي حالياً.

نتائج البحث:

١. **إن دور التجربة العينية الملموسة في الإدراك الحسي يبين لنا أن العلم هو التجريبية،استناداً إلى الخبرة البشرية،وهذه الخبرة يتعامل من خلالها الأشخاص في العالم الذي نعيش فيه.هذه هي أنطولوجيا ميرلوبونتي.وهذا يعني أننا نستخدم مفاهيم العلم الموضوعية القائمة على التجريد في قلب تجربتنا العينية.**
٢. **إن " الغموض" عند ميرلوبونتي معناه الاشتباك الكامل لكل الظواهر.و"أنا" ليس لها معنى إلا بمقارنتها بـ"أنت"، من حيث وجود الآخر بما في ذلك الموضوعات والأشياء.أي أن العالم يشمل كل الموضوعات المختلفة للتجربة،والتي تشمل الأفق المشترك لجميع تجاربنا في العلم،الفن،التاريخ،الاجتماع،علم النفس..إلخ.وهذا ما يفسر علاقة الغموض بأصل الحقيقة،أي حقيقة الإدراك الحسي عند ميرلوبونتي.فالغموض استكشاف للحقيقة.**
٣. **يشمل الغموض الفن كجزء من تجربتنا الإنسانية الشمولية.فالفن مرآة العالم،تلك المرآة التي تعتمد على الرؤية والحركة. فالفن عمل تقوم به الروح،كما أنه يتم بموجب عمل اليد والعقل.**
٤. **يلعب الجسم دوراً فينومينولوجياً أساسياً في إدراك العالم.فقد أراد ميرلوبونتي أن يبين لنا أن من طبيعة الجسم أن يكون مدركاً ومُدرَكاً في الوقت ذاته،عن طريق ملازمة الرائي لما يراه.فهناك تكامل بين الحاس والمحسوس،هذا التكامل يعني أن الإدراك يتم بواسطة جسمي وفي جسمي الذي يدرك الأشياء،وهنا تتضافر الرؤية والحركة.**
٥. **يضرب ميرلوبونتي مثالاً لتوضيح المرئي واللامرئي بالشاعر الذي ليس جسماً فقط ،وليس روحاً فقط ،إنما هو تشابك من الرؤية والحركة. فالشاعر لا يعرف ما إذا كان يكتب القصيدة أم القصيدة هي التي تكتبه.إذن جسمي ينتمي إلى العالم المرئي،ويتشابك في نسيج العالم،والعالم مصنوع من نفس نسيج الجسم.فكما أن الجسم هو الجزء المرئي في إدراكنا للعالم من حيث الضوء واللون ،فإن اللامرئي يعود للكيف والعمق والخيال.نحن أمام رؤية مزدوجة ،تزدوج فيها قابليتها للرؤية بقابلية خفية للرؤية.**
٦. **يعبر الإدراك الحسي عن وحدة وجودية مزدوجة تشمل الأنا المتجسد والعالم.والإدراك طريق وسط بين التجريبية التقليدية والمثالية التقليدية.ومحاولة لوضع "فلسفة الغموض" من خلال نوع من الجدلية المثالية ـ التجريبية التي تتأرجح باستمرار بين هذين القطبين في إطار الزمان و المكان.**
٧. **تتبين أصالة ميرلوبونتي في استكشاف أصل الحقيقة في ثورته على التقليد الفلسفي ليكشف عن وحدة العالم الذي نعيش فيه.وتتبين الحقيقة في تغيير طريقتنا في رؤية العالم الذي نتعامل معه فكرياً وعلمياً.أي بشكل تأملي تجريدي،وبشكل عملي تجريبي.إذن الفلسفة الحقيقية هي ذلك الوصف الفينومينولوجي الذي يقدمه ميرلوبونتي للإدراك الحسي للعالم الذي ندركه ونعيش فيه.**
٨. **إن العلاقة الغامضة بين العقل والحقيقة هي ارتباطنا بل واشتباكنا بالأشياء المدركة.وقد وجد ميرلوبونتي في تجربة العالم المتصور نوعاً جديداً من العلاقة بين العقل والحقيقة في مشاركة ما هو تجريبي ومثلي " تصور ـ ملموس".ومن خلال العقل يمكننا استرداد الوجود الجسدي.**

هوامش البحث:

(*) ولد موريس ميرلوبونتي عام ١٩٠٨ في روشفور Rochefort-sur-Mer وتلقى تعليمه في إحدى المدارس الثانوية بباريس حيث أظهر نبوغاً مبكراً ،ثم التحق بمدرسة المعلمين العليا حيث نبغ على كل أقرانه عام ١٩٢٦،وكان ترتيبه الأول في الأجريجاسيون.وقد عين ميرلوبونتي معيداً بهذا المعهد الفرنسي الكبير (١٩٣١ ـ ١٩٣٥) ،ثم مدرساً في مدارس ثانوية مختلفة ببعض مقاطعات فرنسا، ثم انتقل بعد ذلك إلى ليسيه كارنو بباريس،ومنها إلى ليسيه كونورسيه عام ١٩٤٤ حيث أصبح أستاذاً للفلسفة بالسنة النهائية.وقد كان عام ١٩٤٤ نقطة تحول هامة في حياة ميرلوبونتي:إذ تمت فيه مناقشة رسالتي الدكتوراه اللتين تقدم بهما لنيل هذه الدرجة من السوربون ،وكان موضوع الرسالة الأولى منها هو "فينومينولوجيا الإدراك الحسي"، بينما كان موضوع الثانية هو " بنية السلوك"والذي تأثر فيه بمدرسة الجشطالت ،وأكد على تنظيم طبيعة السلوك والخبرة الإنسانية من وجهة نظر علم النفس. ولاشك أن هذا النجاح الكبير الذي لقيته هاتان الرسالتان هو الذي أدى إلى تعيين صاحبهما مباشرة في وظيفة أستاذ بكلية الآداب بجامعة ليون عام ١٩٤٥ حينما عين بالسوربون أستاذاً لعلم نفس الطفل.ثم عين بالكوليج دي فرانس عام ١٩٥٢. أما باقي مؤلفات ميرلوبونتي في الفلسفة فهي في معظمها محاضرات ومقالات ودراسات متفرقة ،ظهر بعضها في الأزمنة الحديثة" حين كان فيلسوفنا يشرف على تحريرها،وتم نشر بعضها بالاستناد إلى الدروس التي كان يلقيها بالسوربون. ومن أهم هذه المؤلفات كتابه"مغامرات الديالكتيك" Les Aventures de La Dialectque عام ١٩٥٥،وكتابه"علامات" Signes عام ١٩٦٠ ،وكتابه "المرئي واللامرئي" Visible et Invisible عام ١٩٦١ .ولميرلوبونتي أيضاً مجموعة دراسات فلسفية ظهرت تحت عنوان "المعنى واللامعنى" Sens et Non-sens().

انظر :زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ج١،مكتبة مصر ١٩٦٨،الصفحات ٥٠٧ ـ ٥٠٩

وكذلك انظر:

Eric Matthews: Merleau – Ponty, Aguide for the PrePlexed: anchester Printed and Bound in Great Britain,2010,P2

(**) لقد أصبح هدف الكاتب يسبح في عوالم الغموض التي خلقها موته المفاجئ إنما ينتظر انفتاحه على فكر متأمل متجدد يحاول إكمال المسيرة.ويظل التساؤل مفتوحاً: أوليس الموت تساؤلاً متواصلاً مفتوحاً على الحياة؟.إن العالم هو ما نراه.ومع ذلك ما يجب تعلمه هو أن نراه، ويعني ذلك أننا أولاً يجب علينا أن نساوي تلك الرؤية بالمعرفة وأن نمتلكها. وأن نقول من نحن وماذا يعني أن نرى وأن نتصرف كما لو أننا لا نعرف عن ذلك شيئاً.وكما لو أنه أمامنا كل شئ لنتعلمه حول هذا الموضوع.ولكن الفلسفة ليست مجرد مصطلحات ، ولا هي تهتم "بمعاني الكلمات" ولا تبحث عن بديل شكلي للعالم الذي نراه، وهي كذلك لا تحوله إلى مقولة ولا تدخل في ميدان القول أو الكتابة كعالم المنطق في الشرح ، أو الشاعر في اللغة ، أوالموسيقي في الموسيقى.إنما هي الأشياء نفسها بحد ذاتها التي تود الفلسفة أن تقودها من أعماق صوتها إلى التعبير().

موريس ميرلوبونتي: المرئي واللامرئي، ترجمة : سعاد محمد خضر ، مراجعة : الأب نيقولا داغر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧، الصفحات ١٤ ،١٧ ،١٨

(***) الوعي Consciousness هو المجمل الكلي للعمليات العقلية التي تشترك إيجابياً في فهم الإنسان للعام الموضوعي ولمفهومه الشخصي.ويرتبط ارتباطاً وثيقاً باللغة مما يجعل في الإمكان فهم دلالات ومهام ومفاهيم الأشياء والظواهر.فالمعرفة والإحساس محفوظة في لغة تشكل المعرفة المتراكمة للتاريخ والسياسة والقانون والفن والأخلاق وعلم النفس ... إلخ

انظر : روزنتال ، ب يودين : الموسوعة الفلسفية ، ترجمة: سمير كرم ، دار الطليعة ،ط١ بيروت، ١٩٧٤، ص ص ٥٨٦،٥٨٧

(****) توفي ميرلوبونتي في الثالث من مايو ١٩٦١.وقد وجدت في أوراقه مخطوطة تحوي الجزء الأول من عمل بدأ تحريره قبل سنتين.والعمل كان بعنوان " المرئي واللامرئي" ، ولم نجد من أوراقه أثراً لذلك العنوان قبل مارس ١٩٥٩.ولكن عثر على ملاحظات سابقة عن هذا التأريخ، تعود لنفس المشروع وتحمل عناوين مثل : الوجود والشعور ، أو أصل الحقيقة.أعتقد أن المرئي واللامرئي يعني ديمومة التساؤل الفلسفي المفتوح على العالم والوجود .إنه انبثاق للمحتوى الساكن للعالم فيما وراء المدرك والمحسوس. إن الكاتب لم يحاول في كتابه هذا أن يحطم الفلسفة بحرمانها من حركتها الداخلية نحو الحقيقة ، إنما أراد أن يقول لنا فقط بأن الفلسفة يمكنها فقط أن تكون فلسفة وهي تنغرس في الماضي ، تفكك جزئياته وتعيد بناءه من جديد وتحت نهار جديد.وبعبارة أخرى ، أراد أن تكون الفلسفة واسطة لنقيم ونفهم موقف الآخرين من جميع التساؤلات التي أقلقت بال مفكري الإنسانية عبر العصور.

موريس ميرلوبونتي: المرئي واللامرئي، ترجمة : سعاد محمد خضر ، مراجعة : الأب نيقولا داغر ، الصفحات ٦ ، ١٢

(*****) يرى هوسرل وظيفة الظواهر كوظيفة توضيح جوهر المفاهيم المستخدمة في مختلف أشكال وعينا للعالم،بما في ذلك العلوم الطبيعية وصياغة الظواهر.فنحن نأخذ بطبيعة الحال الوجود الموضوعي للأشياء التي نحن على علم بها ،ونسعى في الوقت نفسه لمعرفة المزيد عنها.ولمعرفة المزيد علينا بعلم النفس لمعرفة" الوعي" و"الإدراك"،لاكتشاف جدل هوسرل،والتشبث بوصف تجربتنا الإنسانية الملموسة.فالتجربة الملموسة أكثر أهمية من النظريات المجردة التي تجعل الظواهر ، كما قال ميرلوبونتي، جزءاً من الجهد العام للفكر الحديث الذي يركز على "الذاتية" المرتكزة على علم النفس الاستبطاني لدراسة الظواهر، حيث نتراجع عن العالم الموضوعي لنلتفت "لأنفسنا الداخلية".وهذه الذاتية ليست منفصلة عن العالم ،لكنها ترتبط به بالضرورة بالعالم الذي ندركه.أما قصدية الوعي عند هوسرل فتعني الإشارة إلى ما هو جسدي ـ بدني، وما هو نفسي ـ عقلي.فشعار هوسرل هو أن" الوعي دائماً هو وعي بشئ".فالتفكير دائماً هو تفكير في "شئ ما".أي أن هناك موضوعاً متعمداً.فهناك العديد من الأشياء المثيرة لتعمد أهداف الوعي.

أما بالنسبة لفكرة "الاختزال المنهجي" عند هوسرل: فيرى هوسرل أن يمكننا الفصل بين : النظر في تجربتنا للأشياء ،كما هي في ذاتها ،والنظر في في الوجود الفعلي ،ووضع ما يسمى

بالحس السليم والعلم. ولكننا لابد وأن نتراجع عن اختزال حياتنا اليومية في المشاركة العملية مع العالم إلى مجرد دراسة الظواهر كما هي. وبالتالي لا يمكن فصل الظواهر عن الحياة العملية ، كما أنه لا يمكن اختزالها لمجموعة من المفاهيم النظرية دون الرجوع لوجودها الفعل.ومن هنا فإن هناك شكوكاً تدور حول الظواهر المتعالية غير المنسجمة مع الآثار المترتبة على فكرة قصدية الوعي الذي جعله هوسرل مركزاً للظواهر وكأننا نأخذ من هوسرل نقداً له،لأنه بهذه الطريقة سينزلق في المثالية المطلقة،وسيرى الأفكار فقط بشكل موضوعي.وسيغدو العالم مجرد البناء" بناء الأفكار". وبدلاً من ذلك علينا تناول " القصدية : بمعنى الوعي الذي لا يمكن أن يكون منفصلاً عن الأشياء المقصودة.فنحن لا نستطيع التفكير إلا في شئ ما ، حتى لو أن هذا البشئ يوجد بشكل مستقل عن عقولنا ، لككن نبتغي فيه قصدية الوعي التي تعني أنه يمكن أن يوجد ، وأن له علاقة بالوعي .وهذا مال نقصده بأننا لسنا موضوعات متعالية ، مثلما يجادل هوسرل. إننا لسنا موضوعات فكرية مجردة لاوجود لها في الزمان أو المكان، ولكننا كيانات عينية ،وبشر نعيش في زمان معين ومكان معين،وإيجاد معنى الأشياء بحكم الواقع يجعلنا نتعامل معهم في ذلك الوقت والمكان.فالعلم والفلسفة نشاطان ينشآن في عالم الحياة.ومن ثم فمن الخطأ القول بحقيقة موضوعية كما هي الحال في العلوم.بل يجب أن نرى قيمة العلم من جانب المشاركة البشرية على نطاق أوسع مع العالم.ومهمة الظواهر الآن الحصول على العودة لذلك الأساس للتجربة الإنسانية العادية التي هي مصدر العلم وجميع الأنشطة النظرية الأخرى.

Eric Matthews: Merleau – Ponty, Aguide for the PrePlexed: anchester Printed and Bound in Great Britain,2010,PP6 -15

And:Mark A.Warthall*: MotivesReasons,and Canses*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005,P112

(1)Bryan A.Smyth: Mearleau – Ponty and the Realizayon of Philosophy,LondonmNew Delhi, New York, Sydney,2014,PPXI-XIX

And:Lydia Goehr*: Understanding The Engaged Philosopher:on Politics KPhilosophy and Art*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005,P328

(2)Charles Taylor*: Merleau – Ponty and The Epistemological Picture*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005,PP 33,37,47,48

(٣) زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ج١،مكتبة مصر ١٩٦٨،ص ص ٥٠٦،٥٠٧

(٤) المرجع نفسه، ص ص ٥٠٩،٥١٠

(٥) انظر: ميرلوبونتي: العين والعقل، ترجمة: حبيب الشاروني،منشأة المعارف،الإسكندرية، ص ص ٧ ـ ٩

وكذلك: برجسون : الطاقة الروحية: ص ص ٢٧ ـ٢٩

وكذلك :موريس ميرلوبونتي : فينومينولوجيا الإدراك ، ترجمة: فؤاد شاهين ، معهد الإنماء العربي ، ص ٨

(6)Eric Matthews: Merleau – Ponty, Aguide for the PrePlexed: Manchester Printed and Bound in Great Britain,2010,PP13 -17

(٧) ميرلوبونتي : العين والعقل ، ص ص ١٦ ـ ٢٠

(٨) المصدر نفسه ، ص ص ١٣ ـ ٢١

(9)Eric Matthews: Merleau – Ponty, Aguide for the PrePlexed, P 17

(10)Ibid,P18

(11)Merleau – Ponty: The Primacy of Perception,and other essays on Phenomenological Psychology,The Pilosophy of Art,History of Politics,Translated By:James M.Edie,Northwestern University Press, 1964,PPXIII,XV,XVI

(12)Ibid,PP,XVI,XVII, 3 - 7

(13)Eric Matthews: Merleau – Ponty, Aguide for the PrePlexed,PP20,21

(14)Eric Matthews: Merleau – Ponty, Aguide for the PrePlexed,PP21,21

And:Angus Alexander James: Mc Blane:Corporeal Ontology:Merleau – Ponty, Flesh,and Posthumanism,2013,PP 181,182,190

(15)Merleau – Ponty: The Primacy of Perception,PP9 -12,18,21,22

(16)Bryan A.Smyth: Mearleau – Ponty and the Realizayon of Philosophy, PPXXIV-XXVIII,1,117,118

(17)Ibid,P118

(18)Maurice Merleau -ponty: The Structure of Behavior,Translated By: Alden L.Fisher,Beacon Press Boston,U.S.A,1967,PPXIV,XVI,3

(١٩) زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ج١،ص ٥١١

(٢٠) المرجع نفسه، ص ٥١٢

(٢١) حبيب الشاروني: فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية،مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٤، ص ص ١١٣،١١٤،١٤٣،١٦٣

(٢٢) المرجع نفسه ، ص ٣٠

(٢٣) انظر: المرجع نفسه، ص ٣١

قارن:هنري برجسون : الطاقة الروحية، ترجمة: علي مقلد،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط١،بيروت،١٩٩١، ص ص ٤٣،٤٤،١١٩

And:Henri Bergson:Matter and Memory,Translate By:Nancy Margaret,Paul and W.Scott Palmer,London,George Allen& Unwin,ltd,New York,The Macmillan Co,1919,PP197,300.301

(24)Ibid,PPVII,X,7,71,74,84

(٢٥) زكريا إبراهيم: برجسون،نوابغ الفكر الغربي ، ١٩٦٨،ص ص ١٠٧ ـ ١١٨،١١٠ ـ١٢١

(٢٦) المرجع نفسه،ص ص ١٠٥،١٠٦

(27)Henri Bergson:Matter and Memory, PP85,92,93,105,182,319,325

(٢٨) موريس ميرلوبونتي : فينومينولوجيا الإدراك ، ص ص ٥٤،٥٥

(29)Maurice Merleau – Ponty:The Incarnate Subject , Malebranche,Britain,nd Bergson on the Union of Body and Soul,Preface By: Jacques Taminiaux,Translation by: Paul B.Milaw,Humanity Books,New York,2001,PP14,17,20 – 24,48,87

(٣٠) موريس ميرلوبونتي : فينومينولوجيا الإدراك ، الصفحات ٥٦،٥٨،٧٤،١٢٣،١٥٠

(31)Maurice Merleau – Ponty:The Incarnate Subject , Malebranche,Britain,nd Bergson on the Union of Body and Soul,Preface By: Jacques Taminiaux,Translation by: Paul B.Milaw,Humanity Books,New York,2001,PP89 – 91

(32)Ibid,PP91 ,92,97- 100

(33)Ibid,PP110,116

(34)Chouraqui,Frank :Ambiguity and the absolute:Nietzsche and Merleau – Ponty on the questition of TruthmFordham University Press,New York,2014,PP209,215,217

And:Maurice Merleau – Ponty:The Incarnate Subject , Malebranche,Britain,nd Bergson on the Union of Body and Soul,P51

And:Fred Evans and Leonard Lawlor: Merleau – Pontys Notion of Flesh,State University of New York,2006,PP108

(35)Eric Matthews: Merleau – Ponty, Aguide for the PrePlexed,P30

(٣٦) موريس ميرلوبونتي : فينومينولوجيا الإدراك ، ص ص ٧،١٦

(37)TaylorCarnon*: Sensation,Judgement and the Phenomenal Field*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005,PP 51,52,68 - 70

(٣٨) زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ج١ ،ص ٥١٣

(٣٩) انظر: المرجع نفسه،ص ص ٥١٣،٥١٤

And:Mark A.Warthall*: Reason and Canses*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005,P111

وكذلك: موريس ميرلوبونتي : فينومينولوجيا الإدراك ،ص ص ٨ ـ ١٣

(40)Angus Alexander James: Mc Blane:Corporeal Ontology:Merleau – Ponty ,Flesh,and Posthumanism,2013,PP 4,5,20,30,157,180

(41)Merleau – Ponty: The Primacy of Perception,and other essays on Phenomenological Psychology,The Pilosophy of Art,History of Politics,P162

(٤٢) زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ج١،ص ٥١٨

(43)Eric Matthews: Merleau – Ponty, Aguide for the PrePlexed,PP52,53,75,98

(٤٤) انظر:زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ج١ ،ص ص ٥١٤-٥١٦

(٤٥) المرجع نفسه،ص ٥١٦

(٤٦) موريس ميرلوبونتي : فينومينولوجيا الإدراك ص ص ٣٤٠،٣٢٩

(47)Chouraqui,Frank :Ambiguity and the absolute:Nietzsche and Merleau – Ponty on the questition,PP127-133

(٤٨) انظر: زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ج١،ص ص٥١٦ ،٥١٧

And:Sean Dorrance Kelly:*Seeing Things im Merleau – Ponty,*Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005,P95

And:Williams S. Hanrick:An Existential Phenomenology of Law : Maurice Merleau – Ponty,Spriner – Science,Business Media,B.V,Library of Congress,1987,PP11 - 14

(٤٩) زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ج١،ص ص ٥١٧،٥١٨

(50)Eric Matthews: Merleau – Ponty, Aguide for the PrePlexed,PP119

(٥١) موريس ميرلوبونتي: المرئي واللامرئي، ترجمة : سعاد محمد خضر ، مراجعة : الأب نيقولا داغر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧، ص ١٩

(52)Chouraqui,Frank :Ambiguity and the absolute:Nietzsche and Merleau – Ponty on the questition,PP5,8,9

(53)Beacon Press: Selections of Merleau – ponty,Reprented By: Permission of Beacon Press,Boston,PP5,12,24,34,149

(54)Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005,PP9,10,15

(55)Williams S. Hanrick:An Existential Phenomenology of Law : Maurice Merleau – Ponty,Spriner – Science,Business Media,B.V,Library of Congress,1987,PP21 – 23

(٥٦) زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة، ،ص ٥٢١

(٥٧) انظر : المرجع نفسه، ص ٥٢٢

And:Beacon Press: Selections of Merleau – ponty, PP5,12,24,34,149

(٥٨) زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ص ص ٥٢٢ ـ٥٢٤

(٥٩) المرجع نفسه ، ص ٥٢٤

(٦٠) موريس ميرلوبونتي : فينومينولوجيا الإدراك ، ص ص ٣٦٤،٣٥٢

(٦١) زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ج١،ص ص ٥٢٨ ،٥٢٩

(٦٢) الرجع نفسه،ص ص ٥١٩،٥٢٠

(63)Williams S. Hanrick:An Existential Phenomenology of Law : Maurice Merleau – Ponty,Spriner – Science,P23

(٦٤) زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ج١،ص ص ٥٢٠،٥٢١

(65)Merleau – Ponty: The Primacy of Perception,and other essays on Phenomenological Psychology,The Pilosophy of Art,History of Politics ,PP 164 – 168,182

(٦٦) انظر:زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ج١،ص ص ٥٢٩ ـ ٥٣١

And:Mark B. Hansen*: The Emberyology of(IN)*Visible,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005,P312

(67)Fred Evans and Leonard Lawlor: Merleau – Pontys Notion of Flesh, PP1,6,8

(68)Ibid,PP9,11,54

(٦٩) انظر: موريس ميرلوبونتي: المرئي واللامرئي، ترجمة ،ص ص ١٢،١٣

And:Christopher Ben Simpson: Merleau – Ponty and Theology,Bloososbury,London,New Delhi,New York,Sydney,2014,P45

(٧٠) انظر:موريس ميرلوبونتي: المرئي واللامرئي، ص١٣

(٧١) انظر : المصدر نفسه، ص١٣

And:Mark A.Warthall*: MotivesReasons,and Canses*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005,P118

And:Christopher Ben Simpson: Merleau – Ponty and Theology,Bloososbury,London,New Delhi,New York,Sydney,2014,P45

(٧٢) موريس ميرلوبونتي: المرئي واللامرئي، ص١٨

(73)Stephen H.Waston:In the Shadow of Phenomenology, Writings after Merleau - Ponty,London and New York,2009,PP 81,82,85,93,94

And:Mark B. Hansen*: The Emberyology of(IN)*Visible,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005,P312

(74)Stephen H.Waston:In the Shadow of Phenomenology, Writings after Merleau - Ponty, ,PP96,99,101,118,121

(75)Eric Matthews: Merleau – Ponty, Aguide for the PrePlexed,2010,PP137,140

(76)Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,P16

And:Mark B. Hansen*: The Emberyology of(IN)*Visible,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,P315

(77)Eric Matthews: Merleau – Ponty, Aguide for the PrePlexed,P140

And:Christopher Ben Simpson: Merleau – Ponty and Theology,Bloososbury,London,New Delhi,New York,Sydney,2014,P63

(78)Richard Shusterman*: The sielent ,Limping Body of Philosophy*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005,P151

And:Stephen H.Waston:In the Shadow of Phenomenology, Writings after Merleau - Ponty,London and New York,2009,PP 137,138,144

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

(أ) المصادر الأجنبية:

(1)Bergson,Henri:Matter and Memory,Translate By:Nancy Margaret,Paul and W.Scott Palmer,London,George Allen& Unwin,ltd,New York,The Macmillan Co,1919

(2) Merleau – Ponty,Maurice:The Incarnate Subject , Malebranche,Britain,nd Bergson on the Union of Body and Soul,Preface By: Jacques Taminiaux,Translation by: Paul B.Milaw,Humanity Books,New York,2001

(3) ----------: The Primacy of Perception,and other essays on Phenomenological Psychology,The Pilosophy of Art,History of Politics,Translated By:James M.Edie,Northwestern University Press, 1964

(4) ---------- ----------: The Structure of Behavior,Translated By: Alden L.Fisher,Beacon Press Boston,U.S.A,1967

(ب) المصادر الأجنبية المترجمة للعربية:

(٥) موريس ميرلوبونتي: العين والعقل، ترجمة: حبيب الشاروني،منشأة المعارف،الإسكندرية

(٦)- - - - - - - - - - - - - - : فينومينولوجيا الإدراك ، ترجمة: فؤاد شاهين ، معهد الإنماء العربي

(٧)- - - - - - - - - - - - - - :المرئي واللامرئي، ترجمة : سعاد محمد خضر ، مراجعة : الأب نيقولا داغر ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ١٩٨٧

(٨) هنري برجسون : الطاقة الروحية، ترجمة: علي مقلد،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط١،بيروت،١٩٩١

ثانياً : مراجع عامة:

(أ) باللغة العربية:

(٩) حبيب الشاروني: فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية،مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٧٤

(١٠) زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة،ج١،مكتبة مصر ١٩٦٨

(١١) - - - - - - - - - - - - - - : برجسون،نوابغ الفكر الغربي ،١٩٦٨

(ب) باللغة الأجنبية:

(12) Angus Alexander James: Mc Blane:Corporeal Ontology:Merleau – Ponty, Flesh,and Posthumanism,2013

(13) Beacon Press: Selections of Merleau – ponty,Reprented By: Permission of Beacon Press,Boston,PP5,12,24,34,149

(14) Bryan A.Smyth: Mearleau – Ponty and the Realizayon of Philosophy,LondonmNew Delhi, New York, Sydney,2014

(15)Charles Taylor*: Merleau – Ponty and The Epistemological Picture*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005

(16) Chouraqui,Frank :Ambiguity and the absolute:Nietzsche and Merleau – Ponty on the questition of TruthmFordham University Press,New York,2014

(17) Christopher Ben Simpson: Merleau – Ponty and Theology,Bloososbury,London,New Delhi,New York,Sydney,2014

(18) Eric Matthews: Merleau – Ponty, Aguide for the PrePlexed: anchester Printed and Bound in Great Britain,2010

(19) Fred Evans and Leonard Lawlor: Merleau – Pontys Notion of Flesh,State University of New York,2006

(20) Lydia Goehr*: Understanding The Engaged Philosopher:on Politics KPhilosophy and Art*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005

(21) Mark A.Warthall*: MotivesReasons,and Canses*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005

(22) Mark B. Hansen*: The Emberyology of(IN)*Visible,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005

(23) Richard Shusterman*: The sielent ,Limping Body of Philosophy*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005

(24) Sean Dorrance Kelly*:Seeing Things im Merleau – Ponty*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005

(25) Stephen H.Waston:In the Shadow of Phenomenology, Writings after Merleau - Ponty,London and New York,2009

(26)TaylorCarnon*: Sensation,Judgement and the Phenomenal Field*,Art in:Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005

(27)Taylor Carnon and Mark B.H.Hansoen: Companion To Merleau – Ponty,Cambridge University Press,2005,PP9,10,15

(28) Williams S. Hanrick:An Existential Phenomenology of Law : Maurice Merleau – Ponty,Spriner – Science,Business Media,B.V,Library of Congress,1987

ثالثاً: الموسوعات:

(أ) الموسوعات العربية:

(٢٩) روزنتال ، ب يودين : الموسوعة الفلسفية ، ترجمة: سمير كرم ، دار الطليعة ،ط١ بيروت، ١٩٧٤